يوم الشيخ رضا الله

مُحمّد المختار السوسي

المقالات والقصائد التي ألقيت يوم ذكرى الفقيد
بمناسبة مرورِ أربعةِ أشهرٍ على وفاتِه



منشورات جمعية علماء سوس

يوم الشيخ رضا الله

مُحَمَّد المُخْتَار السُّوسِي

الكتـــاب : يوم الشيخ رضا الله محمد المختار السوسي
منشورات : جمعية علماء سوس
الخطـــوط : بلعيد حميدي
التصفيــف : انسيف الزنايدي ــ الرباط، هاتف 72.70.66
الطبــــع : مطبعة النجاح الجديدة ــ الدارالبيضاء
ردمك : 9981-9807-0-6

رقم الإيداع القانوني : 1994/438
الطبعة الأولى : 1994/1415

يوم الشيخ رضا الله

محمد المختار السوسي

المقالات والقصائد

التي ألقيت يوم ذكرى الفقيد

بمناسبة مرور أربعة أشهر على وفاته

منشورات جمعية علماء سوس

الإهداء

إلى أبناء فقيد العروبة والإسلام،

تحية إسلامية،

وبعد؛ فهذه عواطف حزينة أعرب عنها أدباء سوس الكرام يوم اجتمعوا لإقامة الذكرى على روح والدكم المقدس، فقيد العروبة والإسلام، بمناسبة مرور أربعة أشهر على هذا الحدث الجلل.

وإن وفاء أدباء سوس لوالدكم المقدس هو الذي حدا بهم ليخلدوا هذه الذكرى بدموعهم المنتشرة في هذا الكتيب الباكي «يوم الشيخ رضا الله محمد المختار السوسي بسوس».

وإن أبناء سوس عبروا بواسطة هذا الكتيب عما يكنونه لمحيي سوس من آيات التقدير والإعجاب وما يعترفون له به من شواهد الامتنان.

وإذا أضيف إلى هذا ما أعرب عنه أدباء المغرب الأجلاء جميعا في الذكرى الأربعينية، أدركتم أن فقدان والدكم رضوان الله عليه لم يكن خاصا بكم كأبناء فقدوا أباهم، ولا بسوس كأم ثكلت وحيدها، ولكنه مصاب جلل وفاجعة كبرى ورزء جسيم يعم المغرب كله.

وإننا، إذ نقدم هذا الكتيب كهدية لكم، نرجو أن تجدوا في هذه المشاركة القلبية بعض ما يخفف عنكم أثر الصدمة الكبرى.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، ووفقكم للاقتداء بسيرته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جمعية علماء سوس

مقدمة

أيها القارئ الكريم

إن هذا الكتاب يضم مجموع الكلمات والقصائد الشعرية التي ألقيت بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور أربعة أشهر على وفاة فقيد العروبة والإسلام العلاّمة الشيخ رضا الله محمد المختار السوسي رحمهُ الله. وقد أقيمت هذه الذكرى بمعهد محمد الخامس بتارودانت بتاريخ 4 ذي القعدة 1383 هـ/9 مارس 1964 م.

وبعد مرور ثلاثين سنة على وفاة هذا العالِم الجليل، ارتأت جمعية علماء سوس أن تقوم بطبع هذا الكتاب وفاء لذكراه واعترافاً بما أسداه من جليل الأعمال لهذا الوطن : خدمة للصالح العام ودفاعاً عن مقدسات الأمة الإسلامية وتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله.

ولا يسع الجمعية ـ بهذه المناسبة ـ إلا أن تنوه بجهود كتاب الكلمات والقصائد الذين عبروا عن مشاعرهم الصادقة، وسجلوا شعراً ونثراً جانبا من تاريخ تلك اللحظة الحاسمة، كما تترحم على العديد منهم ممن التحق بدار البقاء.

فجزى الله العاملين من أجل الصالح العام خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

جمعية علماء سوس

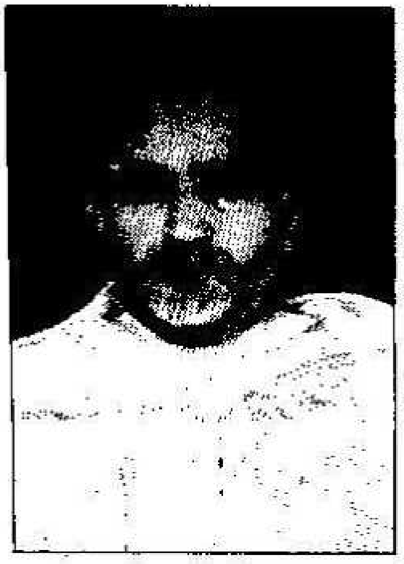
تارودانت

23 ذو القعدة 1414

5 ماي 1994

كَلِمَاتٌ تَأْبِينِيَّة

كلمة الإفتتاح



للأستاذ مرادي عبد الحميد البعمراني
المعهد الإسلامي بتارودانت

الحمد لله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين.

أيها الملأ الكريم! إن مبلغ رقي الأمم يعرف بمقدار تكريم أبطالها وإقامة الذكريات لعظماء رجالها لما في ذلك من الاعتراف بالجميل، ولا يعرف الفضل لذويه إلا أهل الفضل، ولما فيه من بعث الهمم لتتنافس في العمل المثمر الذي يستوجب التكريم، وبذلك يتواصل الإصلاح؛ وإلا فما قيمة مجتمع «شهب البُزاة سواء فيه والرخم»، عالمه وجاهله سواء، وعامله وخامله أكفاء.

أيها الجمع الكريم! إن الذكر الجميل بعد الموت شيء مرغوب فيه شرعا. فقد سأله إبراهيم الخليل عليه السلام : «واجعل لي لسان صدق في الآخرين»، واستجاب الله دعاءه : ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾. وبذلك أيضا فسر قوله تعالى : ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾؛ وفي **الصحيح** : «أنتم شهداء الله في أرضه»؛ وقال الإمام أحمد ابن حنبل : «بيننا وبينهم الجنازات، وحفلات التأبين جزء من مواكب المآتم والجنائز».

حضرات السادة! إن المكتب الإداري لجمعية علماء سوس يشرفه أن ينظم هذا الحفل التأبيني لفقيد العروبة والإسلام وفقيد المغرب بصفة خاصة، وفقيد سوس بصفة أخص، ألا وهو المقدس المبرور العلامة السيد محمد المختار رضا الله، قدس الله روحه، ونور ضريحه، اعترافا بفضله. والمكتب الإداري يشكر أصحاب الفضيلة العلماء والقضاة والأساتذة والأدباء الذين تجشموا مشقة السفر وتكرموا بالحضور، ويشكر كذلك سعادة رئيس الدائرة ومساعديه الذين تفضلوا بالحضور.

أيها السادة! قد سبق أن أقيم احتفال تأبين للمقدس بمراكش أقامه تلامذته وأصدقاؤه الكثيرون بتلك المدينة وناحيتها التي أمضى بها زهرة شبابه، واستأثرت بزبدة نشاطه العلمي والتربوي، وذلك بمناسبة 40 يوما على وفاته.

وبعده بيومين، أقامت رابطة علماء المغرب حفلا مماثلا بالرباط حضره العلماء من سائر أطراف المملكة كما حضره الوزراء ورجال الدولة وكبار الأدباء ورجال الفكر. وجاءت الكلمات والقصائد مصحوبة بالاعتذار من الذين عاقهم عن الحضور عائق، وافتتح الحفل بعد القرآن بكلمة مولانا أمير المومنين نصره الله، وكلام ملوك الكلام.

أيها السادة! هذا دور سوس في ذكرى ابنه البار قد جاء اليوم، سوس الذي له الفخر في كونه أنجب العلامة رضا الله المختار السوسي الذي شرق فضله وغرب، واتهم وأنجد، بسوس ولد، وبسوس تلقى تعليمه الأول، وبه نبتت قوادمه وخوافيه، ثم طار إلى الحواضر حيث استكمل ثقافته ثم انتصب للتدريس، وكان ينوي البقاء بالحمراء التي يهيم بها وبأبنائها ومعاهدها مدة حياته، إلا أن الأقدار أرجعته مرة أخرى إلى سوس حيث صرح محض علمه عن زبدة تآليفه التي ترونها أمامكم، وكلها في إحياء مجد سوس وذكر معالم سوس وأعلامه.

ومن أولى بإقامة هذا الحفل بسوس من جمعية علمائه الذين أحيا أسلافهم في كتبه، واعتقادي أنه لا يوجد هنا عالم إلا وله ذكر في تآليف المرحوم، إما عن قصد أو عرض، فله في كل عنق منهم منة. وأما أعضاء المكتب الإداري، فإنهم من تلامذته الخلص الذين علمهم من جهل وأطعمهم من جوع، وأي مكان أولى بإقامة هذا الحفل الكريم من هذا المعهد الذي وضع لبنته الأولى، وكان يرعاه ويوليه الاهتمام إلى آخر نفس من حياته المباركة.

حضرات السادة ! أشكركم مرة أخرى على التفضل بالحضور. وقبل أن أنادي على السادة الكتاب والشعراء للتقدم لهذه المنصة، أعلن أن هذا الموكب ترفرف عليه روح الفقيد الطاهرة. فإننا نريد أن نضفي عليه ثوبا من الجلال والاحترام، فلا تصفيق ولا تحلية ولا تعليق. فنحن جميعا كأننا أمام أستاذنا، وكأنه حي بيننا...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمعة على الفقيد أستاذ الجماعة
سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله



للأستاذ الحسين وكاك
نائب الأمين العام لرابطة علماء المغرب بسوس

وَاحَرَّ قلباه من فقد المختار الكريم! وارحمتاه لهذه الأمة الكريمة التي فقدت فيه أحد أبنائها البررة المخلصين ! وأسفاه على هذا الفراق المفاجيء الرهيب ! لقد أظلمت علينا الدنيا بعدما نعاك الناعي، واكفهر الجو بعد ما اصطدمت آذاننا بهذا النبإ المفجع، وفقدت الآمال بعدما تركتنا والتحقت بربك الكريم.

إنه لحق علينا أيها الإخوان أن نجتمع اليوم هنا لنؤبن هذه الشخصية الإسلامية التي أدت واجبها نحو ربها وأمتها وبلادها، هذه الشخصية المومنة التي ضربت الرقم القياسي في الثبات على المبدإ، والإخلاص في العمل، وخدمة الصالح العام، والدفاع عن مقدسات الأمة، والتضحية في سبيل إعلاء كلمة الله، والإيمان بالمصلحة العليا للأمة الإسلامية، وإحياء التراث الإسلامي، وإذكاء الحماس العربي في أبناء المغرب

الأشاوس الشجعان، يا لله لهذه المصيبة التي جعلتنا نفقد هذه الشخصية المثالية في سلوكها وتوجيهها وتعليمها وتربيتها وإخلاصها وتضحيتها وأخوتها، فقدنا فيها ذلك المنار الذي نهتدي به والرائد الذي لا يكذب أهله والمرشد الصادق في إرشاده ودعوته والمصلح الشاعر بمسؤولياته والراغب في سعادة أمته وإصلاح شعبه وتركيز دولته.

لقد عرفتكم يا شيخي منذ سنة 1367 التي ألجأتني فيها الرغبة في العلم إلى البحث عن زاويتكم بالرميلة، ملجإ الفقراء أمثالي من الطلبة، تلك الزاوية التي شحذت أفكارنا، وألهبت حماسنا، وقوت معنويتنا، ووسعت معارفنا، وقومت أخلاقنا، وحركت هممنا للعمل المفيد لصالح هذه الأمة التي يهينها المستعمرون إذّاك ويشوهون تاريخها وحضارتها، ويعملون ليل نهار في سبيل انسلاخها من ديانتها والتنكر للغتها التي هي لغة القرآن الكريم.

لقد عرفنا فيكم يا فقيد العروبة والإسلام رغبتكم الصادقة في تحرير بلادكم وإخلاصكم للعرش العلوي المجيد وحبكم القوي للغة العربية وتشبثكم المتين بالديانة الإسلامية وإيمانكم الراسخ بمستقبل العروبة والإسلام. لهذا نفختم فينا من روحكم المصلحة ما تومنون به وتعملون من أجله، مما يجعل المغرب كما كان بلدا عربيا إسلاميا قويا، ويجعل الأمة المغربية كما كانت أمة مسلمة كريمة رحيمة قوية مومنة، تستمد هديها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشريعاتها من القرآن الكريم. فقد كان يهمكم دائما يا فقيد العروبة والإسلام، وبكيفية خاصة ــ إلى جانب ما سبق ــ أن تربطوا حاضر سوس وماضيها العلمي المجيد، وتعيدوا لها مجدها القديم وتحيوا المعاهد الإسلامية المنتشرة في جبالها وسهولها وتدخلوا عليها التحسينات التي يتطلبها العصر الحاضر، رغبة منكم في أن يبقى سكان هذا البلد مخلصين للعروبة والإسلام كما كانوا في الماضي، ومحافظين على الأخلاق الإسلامية وداعين إليها بإذن الله.

ولقد تحملتم يا فقيد العروبة والإسلام في سبيل تحقيق هذه الأمنية ما الله عالم به منذ إنشائكم لمدرستكم الابتدائية الأولى بالزاوية الدّرقاوية سنة 1348 هـ، وخلال نفيكم الأول إلى «إلغ» 1355، وتأسيسكم مدرستكم الثانية بعد رجوعكم من منفاكم الأول إلى أن أخرجتكم الأقدار من مراكش مرة أخرى إلى الدار البيضاء سنة 1370، ومنها إلى منفاكم الثاني بتينجداد، فأغبلو نكردوس، ثم رجوعكم إلى الميدان

الثقافي مرة أخرى بعدما حقق الله أمنيتكم في الحرية والاستقلال سنة 1375 ورجع محمد الخامس رحمه الله إلى عرش أجداده الكرام.

ولقد أبيتم يا فقيد العروبة والإسلام إلا أن تواصلوا رسالتكم فتوجهوا الدعوة لعلماء سوس لتقديم تهانئهم لجلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بمناسبة رجوعه إلى أرض الوطن، وإظهار رغبتهم لجلالته في إحياء التراث الإسلامي، وإنشاء معهد إسلامي بإقليم سوس المعروف بتشبثه بالعروبة والإسلام، وبإخلاصه للعرش العلوي المجيد، الشيء الذي جعل جلالته رحمه الله يشجعهم ويعدهم بكل خير.

وفي 27 ذي القعدة الحرام سنة 1375، ساعدتم العلماء يا فقيد العروبة والإسلام في تنظيم مؤتمر عام بتارودانت لدرس اقتراحكم الذي يقضي باختيار مدينة تارودانت المدينة التاريخية القديمة مكانا للمعهد الإسلامي المزمع إنشاؤه نظرا لموقعها وإمكانيتها ورغبة سكانها الملحة في تتويج كفاحها بهذه المفخرة الدائمة. وقد أبى الله إلا أن يقبل اقتراحكم من طرف المؤتمرين، وينفذ من طرف التجار المهتمين بإنجاح المشروع مثل السيد الحاج عابد السوسي الذي عينه إذَّاك جلالة الملك الراحل محمد الخامس قدس الله روحه في أعلى عليين رئيس اللجنة المالية التابعة للعلماء والمكلفة بإخراج فكرة المعهد الإسلامي إلى الوجود.

وما زلنا، يا فقيد العروبة والإسلام، نتذكر موقفكم الرائع وتضحيتكم المثالية يوم تبرعتم لصالح المشروع بمليون من الفرنكات اقتداء بملك البلاد المرحوم بكرم الله محمد الخامس طيب الله ثراه، والذي أبى رحمة الله عليه إلا أن يشجع المشروع بمليونين من الفرنكات من ماله الخاص قائلا للعلماء الذين تشرفوا بمقابلته يوم 19 محرم الحرام 1376 تحت رئاستكم، يا فقيد العروبة والإسلام، «أرجو أن أزور تارودانت وأجد فيها حلقات الدروس».

ونحن الآن يا فقيد العروبة والإسلام نستعرض تلك التوجيهات والإرشادات التي تزودنا بها دائما لصالح إنجاح هذا المشروع الهام وتنفيذ فكرة السكان وتحقيق رغبة جلالة الملك في إحياء المعاهد الإسلامية بسوس من جديد، ونشر الثقافة العربية بتلك الأصقاع، فتأسس المعهد الإسلامي بتارودانت ونجح بإذن الله، وأنشئت له فروع في كل من تزنيت وماسة وسيدي بيبي وتاليوين وأيت باها وتمنار وأكلو، ونشط العلماء في حركاتهم الإسلامية، وأعادوا الثقافة الإسلامية من جديد وأحيوا ما حاول

الِاستعمار أن يقضي عليه بفضل توجيهاتكم السديدة ومساعدتكم إياها، وفتحكم المجال أمامها لدى الدوائر العليا وتبليغكم أعمالها ونشاطها من حين لآخر لقائد الأمة وملكها محمد الخامس طيب الله ثراه، وخلفه جلالة الحسن الثاني نصره الله، الشيء الذي جعل جمعية العلماء ناجحة ومؤيدة من طرف جلالة الملك وحكومته الموقرة وسائر المواطنين.

ولن ننسى ــ ما حيينا ــ، يا فقيد العروبة والإسلام، ما بذلتموه من مجهودات في سبيل تكوين هذه الطائفة من الشبان الذين يشرفون اليوم على هذا المشروع الثقافي الإسلامي بسوس. فقد كنتم دائما تهيئونهم لهذه المهمة السامية، مهمة إيصال الخير إلى أبناء هذه الأمة الإسلامية وتفهمهم واجبهم الديني والوطني نحو بلادهم وملكهم وتركيز دولتهم وإحياء أمجادهم والدفاع عن مقاوماتهم والتضحية في سبيل شرفهم وكرامتهم.

ولن ننسى، يا فقيد العروبة والإسلام، محاضراتكم الوطنية ودروسكم الدينية واللغوية وقصائدكم الحماسية ورسائلكم التوجيهية وسهراتكم الأدبية وتضحياتكم المثالية، وإيمانكم الكامل وإيثاركم التاريخي وأخوتكم الصادقة ومعاشرتكم الطيبة. فقد كنتم دائما، يا فقيد العروبة والإسلام، تحيون القلوب وتسعدون النفوس وتلهبون الحماس وتوجهون الأفكار بما تلقونه على الطلبة من دروس تفسيرية وأحاديثية ولغوية وأدبية وأصولية في مسجد باب دكالة ومسجد ابن يوسف ومسجد الطالعة والزاوية الدرقاوية بالرميلة، وذلك خلال تلك الأيام القصار التي سمح بها الدهر قبل أن يحكم القدر القاسي بإبعادكم عن مراكش ونفيكم إلى «إلغ» مسقط رأسكم وموطن آبائكم.

كما لا ننسى، يا فقيد العروبة والإسلام، تلك الرسائل التاريخية التي توجهون بها أفراخكم الطلبة بمراكش والتي تعتبر في حالة بعدكم عنهم بمناسبة دروس توجيهية تلقى عليهم من بعيد وتقوي الرابطة الإسلامية التي جمعتهم ووحدت صفوفهم، ودعتهم إلى التضحية في سبيل خدمة الأمة والعرش العلوي أسوة بكم يا فقيد العروبة والإسلام.

أيها السادة! فإذا كنا اجتمعنا اليوم هنا لنؤبن فقيدنا الراحل، فإننا نجتمع لنجدد العهد مرة أخرى للسير في طريق المختار الإسلامية، وللعمل في ميدان وطنية المختار الحق، الوطنية التي جعلته محبوبا لدى الناس أجمعين، تلك الوطنية البناءة التي جعلته يفتح مدرسة الرميلة لأبناء أمته، وينقذهم من براثن الجهل والأوهام والخرافات،

تلك الوطنية المبنية على حب الله والرسول واللغة العربية والقومية المغربية والدولة الإسلامية، تلك الوطنية الصادقة التي جعلته ـ رحمه الله ـ يفني عمره في مصالح أمته والذوذ عن كرامتها واستقلالها وينال رضوان الله عز وجل ويفوز بحب وتقدير الشعب وجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، تلك الوطنية التي جعلته يناضل ويقاتل ويحارب ويتحمل حتى هيأنا نحن ـ فجزاه الله عنا أحسن الجزاء ـ لنناضل ونقاتل ونحارب ونتحمل في سبيل نصره الإسلام وإحياء اللغة العربية، وتركيز الدولة الإسلامية، والدعوة إلى الالتفاف حول العرش العلوي المجيد، والإخلاص لأمير المؤمنين جلالة الملك المسلم الحسن الثاني أيده الله، الغيور على مستقبل الإسلام والعروبة في هذه الديار.

رحمك الله يا مختار المسلمين، ويا ملاذ المستضعفين، ويا خير المربين، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقدنا محمد المختار السوسي

للأستاذ محمد العثماني
ثانوية ابن سليمان الروداني ـ تارودانت

أيها السادة! مرت أربعة شهور على الحادث الجلل والفجيعة الكبرى ونكبة الوطن، وفاة فقيد العلم والأدب المغفور له محمد المختار السوسي؛ ولكننا لم نكد نشعر بمرور هذه المدة التي كانت ـ بالقياس إلى الحوادث العادية ـ كافية لنسج استار النسيان والتغلب على الجزع بالسلوان، لأن مصابنا عظيم والصدمة به عنيفة، لا تكفي مائة وعشرون يوما للتخفيف عن وطأته، والتأثير في جدته. فلولا ضبط الحساب والتاريخ، لقلنا لم يمر على هذه الصدمة إلا يوم أو بعض يوم.

ذلك أننا لم نفقد رجلا عاديا يمكن تعويضه بآخر مثله، ولا شخصا له مزايا توجد لدى عدد كثير أو قليل من الناس، ولكننا فقدنا جيلا كاملا في رجل واحد، له جوانب متعددة يتحمل في أداء مهمات تلك الجوانب من المجهود ما ينوء بالعصبة أولو القوة.

فقدنا عالما واضح المذهب سليم العقيدة، جال في أصول الشريعة الإسلامية وفروعها، وناقش العلماء في مشاكل الأصول والفروع، وطبق القواعد العامة للتشريع الإسلامي تطبيقا واضحا لا غموض فيه، فعلم الجهلاء ما يجهلون، وخاطب الناس بما يفهمون. وفي هذا الإطار تخرج على يده تلامذة كثيرون.

فقدنا أديبا كبيرا، غاص في علوم اللسان العربي وآدابه إلى الأعماق، فطاوعه البيان فنظم، ودانت له البلاغة فنثر، واتزن عقله فامتلأ حديثه بالأمثال والحكم، ووسع اطلاعه وقويت ذاكرته فكان يستحضر من فرائد الشعر والنثر لمختلف عصور الأدب العربي ما يستغني به جليسه عن الكتاب، وتضلع في الفصحى فكان يدرك من دقائقها ما يندهش له فقهاء اللغة. وفي هذه الدائرة كان فقيدنا مدرسة جاهزة، مدرسة متنقلة، تحتوي على جميع المستويات، يأخذ منها المبتدئ، والطالب الشادي، ويغرف منها الأديب الناضج والباحث النهم، يتم ذلك كله في بساطة تامة بلا كلفة، وفي كثير من الموافقة والألفة، ويتم ذلك في أي مكان يتفق، في المجالس الخاصة والمنتديات العامة، وفي الطريق والمركبة، وفي مناظر الطبيعة الضاحكة والعابسة، وفي فترات الاستراحة وحول المائدة أيضا...

فقدنا صوفيا سلفيا فلسف الصوفية فلسفة عملية، فكانت صوفيته جزءا من حياته ومرتبطة بها ارتباطا وثيقا ومرآة تنعكس عليها أخلاقه وعاداته، فلم يباعد بين الصوفية والدين، كما يفعل المتصوفة المتزمتون، ولم يخرج فيها عن دائرة السنة النبوية وهي القرآن، كما هو شأن الكثير من ذوي التنطع والابتداع، بل كانت صوفيته مثالية، سماحة وبساطة ويسرا، وحسنة بين السيئتين، ووسطا بين طرفين، لا إفراط ولا تفريط، ولا جمود ولا جحود ولا تعقيد ولا تقليد، بل لامّ بين العقل والدين فأخذ بكليهما، ولم يجاف أحدهما، وقارن بين القديم والجديد فقبل الصالح منهما ورفض الزائف، طريقة مثالية خاصة. وقع تحت تأثيرها فوقف موقفا نبيلا من المنحرفين دينيا وسياسيا واجتماعيا: فما سايرهم في سلوكهم، ولا جاهرهم بالعداء، ولكنه لا ينتهم حين يعتقد أن ذلكم ينفع وجادلهم بالتي هي أحسن حين يعلم أن لا ضرر في إسداء النصح بالقول السديد وفصل الخطاب، وهو في كلتا الحالتين لم يكن يريد إلا الإصلاح ما استطاع.

فقدنا مؤرخا قديرا أنقذ بصفة خاصة ما اندثر أو كاد من التراث المجيد لتاريخ العلم والأدب والسياسة والاجتماع في سوس القديمة والحديثة، فكأن الله أراد النشور

والانبعاث لماضي هذا القطر الذي لعب دورا هاما في تاريخ الوطن، وشارك بطاقات هائلة من رجال وفكر في تطوير هذا الركن الشمالي الغربي من القارة الإفريقية وترقيته في جميع الميادين منذ القرن الخامس الهجري، فهيأ لمهمة هذا النشور والانبعاث فقيدنا، ومنحه من الصبر والجلد ما يكون في العادة موزعا في عشرات الرجال، وزوده بطاقة عقلية مدهشة يقل نظيرها، فقدم لهذا الجيل والأجيال القادمة موسوعات كبرى ذات الأجزاء العشرة والعشرين، موسوعات في التاريخ والأدب والسياسة والاجتماع، وغير ذلك من شؤون الحياة المادية والروحية، قدم ذلك كله في مدة لا تكفي في الغالب لمثل ذلك الإنتاج الضخم والعمل المعجز.

ومما يزيد الأمر غرابة أن الفقيد لا يرمي من وراء عمله إلى أية فائدة مادية، إذ لو استهدف الجانب المادي لسلك طريقة أجدى وأنجع، ولكان سخر قلمه للكتابة في الجرائد والمجلات وإصدار الكتب القليلة الكلفة في المواضيع المثيرة التي تجعل الكثيرين يتهافتون عليها، ولكنه ترك هذا النوع من الكتابة لذوي الأقلام المأجورة، والإنتاج الرخيص، وهم كثير، وقام بالمهمة التي عرف أنه لا يضطلع بها أحد سواه، فأحيى تاريخا مجيدا حكمت عليه الظروف الخاصة والبيئة المنكمشة بالموت. وقد أهدى للقطر خصوصا وللمغرب عموما إنتاجه الضخم، ولسان الواقع يقول : «هذه سوس ماضيها وحاضرها، بيوتاتها وأسرها، قبائلها ورؤساؤها، هدوؤها وثوراتها، أخلاقها وعاداتها، علماؤها وأدباؤها، معاهدها ومكتباتها... إلى غير ذلك مما تصدق عليه كلمة التاريخ في السياسة والأدب والفكر والاجتماع».

فقدنا رجلا له تلك الصفات التي ذكرنا، وصفات أخرى مما يسعه صدر التاريخ الرحب، ولم يتسع لذكره المقام. وحسبنا الآن، إذا أردنا الإيجاز مع الإحاطة والشمول، أن نقول: «فقدنا محمد المختار السوسي»، لأن هذا الإسم كان علما على كتلة نشاط، ومجموعة من صفات التكامل الإنساني.

أيها السادة! في كل ساعة بل في كل دقيقة يموت أناس ويولد آخرون، وليس في الموت بعد أن يعرف الإنسان حقيقة الوجود ما يثير، وإنما السر في تأثير موت فرد دون آخر ما تشعر به الجماعة أو الأمة التي ينسب إليها ذلك الفرد من حاجة إلى وجوده واستمرار جهوده، لأنها تعتبر بقاءه مرتبطا باستكمال تاريخها، وضروريا لدعم كيانها المادي أو الروحي. ومن هنا تأتي الفروق المختلفة الأبعاد بين موت فرد وموت

آخر، وبين حزن على هذا أو حزن على ذاك، وإلى هذه الحقيقة أومأ شاعر الشرق الحكيم أحمد شوقي :

وما الرجل الذي يبكيه شعب   كمن تبكي عليه النائحات

وفي هذا المعنى أود أن أختم كلمتي بفقرات آخذها من رسالة كتبت بها إلى الأستاذ المحترم السيد عبد الحميد بن عيسى حفظه الله، وقد أخذ بما سمعه في المأتم الذي أقامه المغرب على عالمه الراحل :

«يكتب المؤرخ تاريخ أمة أو تاريخ رجال ويدرسه ما شاء الله، ولكنه لا يدرك تمام الإدراك حقيقة التاريخ وعظمته إلا إذا عاش تاريخ رجل عظيم وشهد حياته وموته، ثم يلاحظ الفراغ الهائل الذي تركه فيبحث عمن يملأه فلا يجده. وعند هذا الحد فقط يتذوق التاريخ، ويتضح له الفرق بين رجل ورجل وبين عظيم وعظيم.

نحن الآن نعيش فصلا فاصلا من تاريخنا، بل نعيش اللحظات الأخيرة منه، لحظات رهيبة تستنزل العبرات، وتستثير العبر. فموت محمد المختار السوسي ليس خسارة أسرة أو قبيلة فقط، ولكنه خسارة أمة منكودة الحظ فقدت أعز أبنائها وأشدهم إخلاصا في خدمة وطنه، وأعظمهم ثقافيا في إحياء مآثرها، وكشف النقاب عن أمجادها، وهو ــ رحمة الله عليه ــ لم يكن يعيش لنفسه، وإنما عاش لأمته؛ ولما مات أصيبت الأمة في الصميم، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله.

ما أكثر الذين يقفون في صف العلماء يكتبون ويدرسون ويؤلفون، ولكنهم لم يكونوا علماء في ضمائرهم وأخلاقهم وسلوكهم، فجعلوا العلم وسيلة إلى أهداف سخيفة، وسخروا ثقافتهم لتحقيق أغراض مادية خسيسة فكانوا قدوة سيئة يربون الجيل على النفاق والدجل والسعي وراء المادة بكل وسيلة مهما بلغت شناعتها وبشاعتها.

وما أقل علماء العقل والخلق والضمير والعقيدة السليمة، الذين يشغلون حياتهم في خدمة أمتهم وتربية أبنائها عقلا وخلقا وعقيدة، فلم يتنكروا لأمجاد القديم، ولم ينكروا حسنات الجديد، ولم يلههم منصب ولا جاه عن مهمتهم السامية التي تهيأوا لها، ولم تبطرهم نعمة، ولا أخرجتهم المغريات ــ وما أكثرها ــ عن صوابهم، فكانوا نماذج حية للإنسان الكامل، ومثاليين في أدب السلوك وفلسفة الحياة.

ومحمد المختار السوسي من هذا الفريق القليل جدا. فقد بارك الله في أيامه فربى ودرس، وحادث الإخوان وأرسلهم. وبارك في فكره وخياله، فنظم ونثر؛ وبارك في قلمه، فكتب ما لا نستطيع أن نستوعبه نحن قراءة عابرة. فلما فجعنا فيه، بارك الله أيضا في أسانا وحزننا عليه، وبارك في الراثين له والمعزين فيه.

تلك حقيقة يسجلها التاريخ، ويفرضها الواقع، وذلك ما جعلنا لا نكاد ننسى هذا المصاب على مر الأيام والشهور، وسنبقى واقعين تحت وطأة ذكراه ما شاء الله. فما أعظم خسارتنا وأفدح رزءنا، وما أحرانا أن نقيم المآتم والذكريات، لا على فقيدنا العظيم، لأنه ترك ذكرا جميلا وآثارا خالدة، ولكن على جدنا العاثر، وعلى نجم أملنا الدابر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

دمعة من قلب مكلوم

للسيد محمد بن سعيد الجراري
قاض بالغرفة الشرعية بأكادير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد؛ ففي كتاب **المعسول** كلام حكيم، قاله فقيدنا العظيم، وهو بصدد الكلام عن وفاة والده الهمام : «هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغريبة العجيبة. ولكل مبتدإ منتهى، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام».

أجل لكل مبتدإ منتهى، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة الله تبديلا. حضرات السادة! إننا نجتمع في هذا المساء لنتطلع، بقلوب ملؤها الأسى، إلى شفق شمس توارت منذ أربعة أشهر عن الادخار، مخلفة في قلوبنا لهيبا من النار، شمس طالما تلألأت بالأنوار، فأفاضت من أشعتها الربانية على مختلف الأقطار، وخلدت في التاريخ اسم هذه الديار، بما كشفت عنه من كنوز علمية ومعالم تاريخية، مهددة بالاندثار. إنه علامتنا وابن قطرنا البار، الأستاذ المرحوم السيد الحاج محمد المختار السوسي الذي اختاره الله إلى جواره بدار الخلد والقرار، حيث ينعم من أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

عالم نِحْرير وأديب كبير، وأستاذ شهير، وصوفي فقير، ووطني غيور، ووزير خطير، أوصاف قلما اجتمعت في إنسان إلا إذا كان نادرة الزمان، ومعجزة الأوان.

وليس على الله بمستغرب أن يجمع العالم في واحد

إن الواحد منا حين يذكر الفقيد العظيم ـ وقلما أنسانا الدهر إياه حيا وميتا ـ ليذكر بكل اعتزاز وافتخار عالما من علماء المسلمين الأبرار، ملأ الإيمان والمبادئ الإسلامية، بما فيها من إشراق وروحانية، قلبه الطاهر، وسيطر على سلوكه الباطن والظاهر، سابق في ميدان العلم والأدب فسبق، وضحى فداء لدينه ووطنه فأخلص في التضحية وصدق، وظل وفيا لما تعهد به إلى أن ناداه منادي ربه، فامتدت إليه يد المنون، والناس كلهم عنه راضون، وانتقلت نفسه الزكية إلى ربها راضية مرضية، تحفها ملائكة الرحمان في موكب المغفرة والرضوان، «يا أيتها النفس المطمئنة...»، إلخ.

اهتدى فهدى، وعلى محياه الكريم نور الحقيقة بدا، لنستمع إليه في هذه الأبيات، التي تنم عن نفس أبية تقف إلى جانب الحق بكل شجاعة وثبات:

الحق حق وفيه أحيا وألقى الحماما
فما أعش فمحق وإن امت فسلاما
وما أبالي إذا ما حسنت ربي الختاما

نعم! لقد صدقت في الكلام، فحسن لك ربك الختام، لأنك من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وساروا في الطريق المستقيم الذي أرشد إليه.

حضرات السادة! لماذا نقيم الآن ذكرى فقيدنا المختار؟ هل لكوننا فقدنا في وفاته أحد أئمة الإسلام الأخيار، وهو جانب شاركنا فيه أو سبقنا إليه غيرنا من الأقطار، أو إننا نقيمها لكوننا فقدنا في موته إلى جانب ذلك أعز أبناء قطرنا الأبرار.

لقد قيض الله المرحوم الفقيد لهذا القطر السعيد، لينفض الغبار عن تاريخه المجيد، ويكون بلبله الغريد يصدح بمجده في جواهر النشر ودرر القصيد، وتلك منة ما عليها من مزيد، فهل في استطاعتنا أن نوفيه حقه بالذكرى والتمجيد؟

لا أعتقد،

إطلالة على جانب من حياة فقيدنا الكبير للتبرك والتذكير، وهو جانب يشير إلى سوسيته التي تنم عن صلاحه وصوفيته.

إذا كانت البدايات عنوان النهايات، فإن حياة فقيدنا العظيم على صحة ذلك من أعظم الآيات.

أولع رحمه الله منذ نعومة أظفاره بطلب العلم والعرفان، وآلى على نفسه أن يكون من أقطابها كيفما كانت الأثمان، كأنه شعر بأنه لم يخلق إلا لذلك الميدان، فلم يلبث أن استجاب الله إلى رغبته وآتاه من ضروب المعرفة والبيان ما يعجز عن وصفه الإنسان، مما جعله كعبة القصاد، يحجها طلاب المعرفة والهداية من جميع أنحاء البلاد، الحاضر منهم والبادي.

ولا بدع، فالدر من معدنه، خصوصا إذا كان مختارا من نوع علي، حيث الفيض الرباني بأسمى معانيه ينجلي.

ورغم ما توافر لفقيدنا الكبير، مما أفاء الله عليه وعلى عائلته من الخير الكثير، فقد حرص دائما على أن لا يغريه ذلك بالتخلي عن طبيعة جيل من أجيال سوس تهتز لذكر سيرته النفوس، جيل الجد والحزم، والصبر والعزم، ونكران الذات ونبذ الملذات، ونشدان الكمال، والوقوف عند ما يرضي الكبير المتعال، غير عابئٍ بنظام المطعم والملبس، مادام السلوك والعرض طاهرين لا يشوبهما دنس، قميص وجبة أو كساء، بداخلهما همة قساء.

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده　　　إذا كان سيفا حيث وجهته برى

قليل من الطعام يقوي الأجسام،ويقيها من السقام، ويدفع بالإنسان إلى الأمام. فالعمل والاجتهاد، وعلى الله في النتيجة الاعتماد، أنعم به خلقا مستمدا من ديننا الحنيف، ومن أخلاق نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذوي القدر المنيف.

أقول هذا وأنا أتمثل الآن في ذهني صورة للفقيد العظيم منشورة في كتاب **الأدب العربي في المغرب** للقباج، وهو لم يزل في ربيع العمر وطوره المتقد الوهاج، صورة تنم عن أشياء كثيرة، وتوحي بأفكار كبيرة، وإلى جانبها صوت مدو يساجل الشعر فحوله، ويبارز فيه عيونه وأصوله. وكلما تطلعت إلى تلك الصورة، أو تتبعت أطوار حياة الفقيد الأولى، وقارنت بين ذلك وبين المكانة التي أدركها في آخر الحياة، أيقنت أن البدايات عنوان النهايات.

على أن فقيدنا المرحوم إذا كان يمثل في حياته وسلوكه جيلا يكاد يكون الآن أعز من بيض الأنوق، فإن له ميزة خاصة امتاز بها عن بقية الرعيل، وتفوق بها على من عاصره من أفراد الجيل، تلكم هي نزوعه إلى الاحتكاك بالبيئات العلمية الأخرى، مما كان له أعظم تأثير في حياته الثقافية والاجتماعية والسياسية.

لنستمع إليه وهو يقول في كتابه **المعسول** :

«ثم لما حللت بفاس، أتى الوادي فطم على القرى، فبدلت أخلاقا غير التي عهدت لنفسي قبل وأنا في مراكش وأحواز مراكش، فقد تلقحت في جو فاس بما لو لم أتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي همة، ولا نزعت بي نفس عزوف تقول بملء فيها:

لـي هـمـة عاليــة فــذة   طـموحـها ليس له منتهـى
لـو ملكت كل الثرى لا عتلت   إلـى امتلاك سدرة الـمنتهـى

تكونت لي في فاس فكرة دينية، فرقت بها بين الخرافات المموهة وبين الروحانيات الربانية، كما نبتت مني غيرة وطنية، نسيت بها نفسي ومصالحي الشخصية، فأعددت نفسي فداء لديني ولوطني ولأمتي التي هي أمة العرب والإسلام جمعاء، إلى أن يقول :

«ثم لما أبت من فاس، وقد ألممت بالرباط حيث احتقبت أيضا علوما وفهوما وأنظارا وبحوثا لم أقع عليها إلا في الرباط وفي مشايخ الرباط، حللت بالحمراء وقد ألقيت فيها مرساتي وأنوي أن أقضي الواجب علي لديني ولوطني ولشعبي ما بين تلميذ يهذب ودرس يُلقى وأنا في جانب ذلك أناغي اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الأمة».

نعم! لقد استطاع فقيدنا العظيم أن ينطلق من أحضان البيئة السوسية التي تكتنفه، هاته البيئة التي طالما عرفت مواهب اتقدت فخبت في محلها ولما تتجاوزه إلى نطاق أوسع، بسبب الطابع الذي يميز المجتمع السوسي من كونه نزاعا إلى الانطواء على النفس. وعدم حب الظهور القاصم للظهور خلق محمود في الشرع مشكور، وإن أصبح في هذا العصر من قبيل المهجور:

ليــس الـخمــول بعـــار   علـــى آمــريءٌ بجـــلال
فليلـــة القـــدر تخفـــى   وتـــلك خير الليالـــــي

ورب ملاحظ يلاحظ في استفسار أن هناك عددا من العلماء السوسيين الأخيار نزحوا عن هذه الديار، فاستطاعوا أن يتخلصوا بدورهم من الخمول، ويجوبوا الآفاق بغية طلب أو نشر المعقول والمنقول. بيد أن ميزة المرحوم تتجلى في أنه استطاع

أن يحتفظ دائما بطبيعته السوسية، التي تمتاز بنوع خاص من الروحانية والصوفية. فهو سوسي في «إلغ» مسقط رأسه، وهو سوسي في مراكش وأحوازه، وهو سوسي في فاس، وهو سوسي في البيضاء والرباط. هو سوسي حين أصبح وزيرا، كما كان سوسيا حين كان طفلا صغيرا. ويكفي أن نستمع إليه يردد ويقول، وهو يحرر **سوس العالمة والمعسول** : «أنا ذلك السوسي، أنا ذلك السوسي». لقد امتزجت محبة هذا القطر بشعوره، وجرت في جسمه مجرى الدم، وهو يدافع عن خدمته الخاصة لهذا القطر بما لا يدع مجالا للنقد أو اللوم، كأن الله خلقه ليخدم هذا القطر الذي كان عرضة للإهمال، رغم ما يحتويه من كنوز علمية تستحق الإكبار والإجلال. هذه هي النقطة التي تستحق أن نذكرها بكل إعجاب وتقدير، ونحن بصدد ذكرى فقيدنا الكبير، وهي أيضا النقطة التي يفترق فيها عن غيره.

حضرات السادة! إننا لا نقصد رثاء الفقيد العظيم بالكلام عن خدمته وكفاحه في سبيل إحياء تراث هذا الإقليم وإصلاحه، وإنما نريد أن نستغلها فرصة للترحم على روحه.

أما الرثاء، فإننا نسمع الآن التاريخ يهمس في آذاننا جميعا قائلا : «ليس بعشك فادرجي..»، وكأنه يريد أن لا يضايقه أحد في رثاء أحد رجاله الأفذاذ. فلنكل أمره إليه ـ فهو أقدر عليه ـ ليسجل أعمال فقيدنا الجليلة على صفحاته الخالدة.

بالإضافة إلى أنه رثته قبلنا المحافل العلمية والأدبية في الداخل والخارج، ورددت هذا الرثاء وسائل الأخبار على اختلاف الطرق والمناهج، لأن فقيدنا العظيم استطاع أن ينفذ بسمعته العلمية ومؤلفاته القيمة إلى سائر الأقطار العربية والإسلامية.

وأذكر فيما أذكر أنني قرأت تعليقا عن مؤلفاته في عدد من أعداد **المجلة** التي يشرف على تحريرها الدكتور الراعي، وهي سجل الثقافة الرفيعة، كما علقت على كتاب **سوس العالمة** بعض المجلات الثقافية العراقية تعليقا حسنا ورددت صدى التعليق بعض الصحف المغربية، كما أن الدكتور نقولا زيادة الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت علق على كتاب **سوس العالمة** في بعض المجلات التي تصدر هناك مباركا للمؤلف صنيعه ومثنيا على الكتاب.

وهذا ما يجعلنا الآن نتجنب الرثاء مخافة أن نبخس فقيدنا العظيم حقه ونقصر

عن الوفاء، وبدلا من ذلك نلتجئ إلى العلي القدير طالبين منه أن يجزيه الجزاء الأوفى، متوسلين إليه بجاه النبي المصطفى.

وحبذا لو تطوع البعض من ذوي الأقلام ممن آنس من نفسه القدرة على طرق ودراسة ذلكم المقام، فيبادر إلى تكريس جزء من أوقاته لكتابة سيرة الفقيد وحياته، كما كرس هو جل وقته الثمين وطاقته، لخدمة هذا القطر وإحياء تراثه، وذلك هو الحد الأدنى مما يمكن أن يجازي به أهل الفضل ذووه، عملا بالحديث الشريف : «من أسدى إليكم معروفا فكافئوه».

ولقد أسدى فقيدنا العظيم إلى هذا القطر معروفا، بالشكر والثناء موصوفا، فعرفه بعد أن كان نكرة مجهولة، وقدمه إلى العالم تحفة مصقولة، نفض عن علمائه ورجاله الأخيار مما تراكم على حياتهم من غبار، فكم من عالم أضاء الأصقاع، وشنف بعلمه الأسماع، صار نسيا منسيا إلى أن قيض الله له الفقيد، فبعثه من جديد.

لكأني بروح الفقيد ترفرف فوق رؤوسنا في هذا الحفل تحثنا على المضي في الخطة التي رسمها، والسير في الطريق التي شرعها ووسمها. أشعر بهذا وأنا أزداد ألما وأسفا كلما نظرت إلى هذا الحفل وذكرني بعهود وأزمان، كان فقيدنا العظيم يتصدر فيها مجالسنا كواسطة عقد الجمان. فهل يجود الآن بمثلها الزمان؟ هيهات، هيهات.

حضرات السادة! لنتوجه إلى الله بقلب سليم، ولنستمطر شآبيب رحمات مولانا الكريم على فقيدنا العظيم.

رحمة الله عليك يا من كنت خير خلف لخير سلف.

كلمة تأبينية



للسيد أحمد أوعمو
قاض بالمحكمة الشرعية بتزنيت

الحمد لله المختص بالبقاء والقدم المنزه عن الفناء والعدم، والصلاة والسلام على من لنا فيه أسوة حسنة حيا وميتا، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

إخواني سادتي! إن فقيدنا العلامة الشيخ المختار قد اختاره لجواره ربه الذي يخلق ما يشاء ويختار ومن إرادته واختياره في الأزل وما كان لأحد في ذلك لا خيرة ولا اختيار، ﴿إذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ :

فلو نعطي الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

إذا، فلا يسعنا ـ وإن كان الرزء عظيما ـ إلا الصبر والرجوع إلى الله تعالى قائلين إنا لله وإنا إليه راجعون رجاء أن نكون من المبشرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، راضين آمنين بالقضاء والقدر حلوه ومره خيره وشره.

نعم! إن كلاً منا، خاصتنا وعامتنا، يعلم أن لفقيدنا المرحوم شخصيتين عظيمتين، شخصية مادية وشخصية معنوية. فالأولى هي التي تجسمت في ذلك

الجسد المركب من الدم واللحم والعظام، الذي خلق في أحسن تقويم وفي أحسن صورة كريمة، تلك الصورة التي لازمها الوقار والهيبة والاحترام، ولازمتها البشاشة والتواضع والخشوع والنزاهة والإجلال لزوما ذاتيا أينما حلت وارتحلت وفي كل مكان وحين، تلك الصورة التي كانت دائما متصفة بجميع مكارم الأخلاق ومحاسنها وبمعالي الأمور ومحامدها منزهة عن رذائلها وسفاسفها عزيزة محبوبة لدى جميع الناس. ومحبة الناس للعبد علامة محبة الله له، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إخواني! سادتي! لئن كنا جميعا فوجئنا بمصيبة فقدان تلك الصورة المادية الكريمة بحكم اضطرار وقضاء لا مرد له، لا بأية تميمة تنفع ولا بأي مرْهم ينجع. ولئن كنا فجعنا وتوجعنا بمفارقتها وبمواراتها ودفنها في مرقدها الأخير في تلك التربة الطيبة مقبرة الشهداء بالرباط قرب مرقد شيخه المرحوم مولاي عبد الرحمن الأخصاصي وإزاء مرقد علال بن عبد الله أول شهيد في سبيل حرية الوطن واستقلاله وغيرهما من العلماء الصالحين قدس الله أرواحهم جميعا وأدام عليهم شآبيب رحمته ورضوانه، فإننا نتسلى بأننا وإن فقدنا صورته المذكورة فإننا لم نفقد ولا نفقد ولن نفقد شخصيته المعنوية الروحية العلمية النورية التي تجسمت وتبلورت في شخصيات عديدة من تلامذته وتآليفه المفيدة. فها جم غفير من تلامذته وتلامذتهم من جميع الطبقات نشاهدهم يعم النفع بهم جميع أنحاء البلاد، يهتدون بهديه ويحتذون حذوه من الاستقامة في الدين وتعليم الجاهل وإرشاد الضال والجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم وإحقاق الحق وإبطال الباطل ومحاربة الجهل والإلحاد والبدع بأنواعها والصمود أمام أعداء الدين والصدع بالحق دون خوف لومة لائم وتوجيه العباد من جميع الطبقات وأداء النصح لهم وإرشادهم وتنوير أفكارهم بالثقافة والوعظ والإرشاد إلى ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم إلى غير ذلك مما هو من مشارب شيخهم الصافية ومبادئه السامية ومثله العليا الفاضلة التي قام بها بكل جد واجتهاد وأمانة إلى أن لقي الله راضيا مرضيا مخلِّفا إيَّاها لهم أمانة وعهدة في أمانتهم وعهدتهم ليقوموا بأدائها طبقة عن طبقة خلفا عن سلف إلى يوم الدين.

وها تآليفه العديدة المفيدة أدبا واجتماعا وأخلاقا، خصوصا كتاب **المعسول**، ذخيرة سوس الذي قد أحيا لنا ولمن بعدنا ما اندثر أو كاد من تراثنا القومية ومن مآثر ومفاخر ومناقب أمجادنا العظام في الصقع السوسي؛ وها هو يخبرنا بمن مضى منهم وسيرهم وفضائلهم وأحوالهم المرضية بأسلوب لطيف رقيق، ويخبرنا بما مضى ووقع فيه

من الحوادث والأحوال الدينية والثقافية الاجتماعية والأخلاقية وما وقع من ذلك في كل وقت ومكان بكل دقة وأمانة، سيظل يتلى وينبيءُ بذلك من جاء بعدنا باقيا بحول الله إلى يوم الدين.

فيتجلى بذلك ويتحقق أن فقيدنا المرحوم من أجل العلماء العاملين والعظماء الخالدين الذين لا تفنى شخصيتهم المعنوية بفناء شخصيتهم المادية، بل أحياء حياة طيبة كريمة دائمة بدوام أثرهم وذكرهم الجميل ومآثرهم الطيبة النبيلة وبدوام عملهم العلمي الذي لا ينقطع بموتهم بل يستمر ويتسلسل في مرور أتباعهم وتلامذتهم طبقة بعد أخرى متسلسلا فيهم بسلسلة نورية علمية روحية آخذا عن آخذ سلفا عن خلف إلى يوم الحشر بحول الله وقوته:

إذا ما روى الإنسان أخبار من مضى ... لتحسبه قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما ... أديبا كريما فاغتنم أطول العمر

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن تعليم العلم والولد الصالح من الأعمال التي لا تنقطع بالموت وأن بعض الصحابة قد رأى عينا جارية من السماء إلى قبر صاحب له، ففسرها له النبي صلى الله عليه وسلم بعمل صاحب القبر الذي لا ينقطع بموته.

وبهذه المناسبة وتبعا لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، فإني رأيت فقيدنا المرحوم بعد التحاقه بربه بنحو شهر جالسا في زمرة من الأدباء في حالة حسنة وبهجة كاملة وبيده أبيات يقرأها فقال متبسما: «عجبا لقائلها رثاني بها قبل أن أموت!». وتلك الأبيات هي التي أرسلها لي بعض الأحبة كتعزية أيام وفاة المرحوم، ها هي تلقى عيلكم بالنيابة عن صاحبها؛ كما أن بعض الأصفياء قد أخبرني بعد وفاة المرحوم بأنه رأى أنه يقرأ بعض أقاربه سورة يس ترحما على روح الفقيد المرحوم إلى أن وصلوا آية ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكؤون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم﴾. قال فاغمي عليه فلما أفاق وجد لسانه يقول : «إنه منهم، إنه منهم». كما أني قد حضرت له ذات يوم يعاتب بعض الأصحاب عن طول غيبته عنه وقال لا تحسبوا أن المختار هو المختار وكفى، بل إن

للمختار في بعض الأحيان حالة بركة ينفعل لفعلها كلما توجهت إليه. وإني كذلك حضرت له ذات مرة يحكي للحاضرين بعض أحوال ومحبة بعض خواص الفقراء وملاقاتهم فإذا هو قد صاح بلفظ الجلالة الله فمده مصفر اللون كانه مغشي عليه منحدر الرأس، فلما رفعه غلب عليه البكاء فانقطع عن الحكاية رحمه الله ورضي عنه، إلى غير ذلك مما شوهد من مآثره الكثيرة التي توجب على تلامذته وأحبته أن يقوموا بجمعها وتدوينها وفاء بالعهد الذي كان لزاما عليهم الوفاء له به كما وفي به لهم ولغيرهم أحسن الوفاء وأن يكون كل منهم مختارا مثله في دينه واستقامته وفي جميع أحواله وأفعاله وأقواله وأخلاقه وحزمه واجتهاده وأن يكونوا جميعا عند حسن ظنه بهم في تسيير جهاز هذا المعهد الديني تسييرا حسنا مرضيا في جميع أسلاكه وأقسامه تعلما وتعليما ماديا ومعنويا إلى أن يصير جامعة كبيرة عالية في هذا الصقع السوسي بحول الله ومشيئته وأن يقيموا له في كل مناسبة ذكريات ترحم عليه مثل هذه قاصدين بذلك كله أداء بعض الواجب له فإن حسن العهد من الإيمان ومن أسدى اليكم معروفا فكافئوه كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم جزاه الله أحسن الجزاء وقدس روحه ووسع عليه في رضوانه ورحمته وأصلح ذريته وختم لنا ولكم بالحسنى وحشرنا معه في زمرة المتقين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

كلمة تأبينية

للأستاذ شاعري أحمد الزيتوني
المعهد الإسلامي بتارودانت

النوع الإنساني في هذا العالم المادي على صنفين: صنف لا يفهمون من العيش ولا يهمهم منه سوى الاستمتاع بالماديات والمجد المزيف، والمسارعة إلى تلبية الرغبات الحيوانية، والإمعان في الانهماك فيها؛ فهم ان خاضوا في المكارم، لا يمارسونها لكونها مكارم، بل لا يهمهم ولا يعنيهم من الفضائل إلا القدر الذي يموهون به على الناس ليجعلوه سلما للتوصل إلى إرضاء رغائبهم السافلة، ولا يعنيهم من المحاسن إلا ما يتخذونه مطية لبلوغ مراتع شهواتهم الدنيا وأغراضهم السفلى. فلا يأتون الفضائل لكونها فضائل، ولا يغربون في المكارم حبا في اجتناب الرذائل. فهذا النوع لا يفكر إلا في نفسه، ولا يفقه من المصالح إلا مصلحة شخصه، فلو تعرض كل البشر للدمار والهلاك لفائدته الخاصة لما وسعه إلا الفرح والسرور، ولقال بملء شدقيه: «آمين». وهؤلاء هم الذين عناهم القائل:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقى الذين حياتهم لا تنفع

وأشار لهم الآخر بقوله:

ابني إن من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله وإذا أصيب بدينه لم يشعر

وهذا نقص فادح وأي نقص، بل جائحة وكارثة أصابت المعنى السامي للإنسانية في شخص هذا الصنف من البشر. فلو أن هذه الجائحة والكارثة كان ضررها قاصرا على هذا النوع من البشر، لكان الخطب سهلا بعض الشيء. ولكن الجائحة والكارثة فيهم تسري في هيكل المجتمع الذي ابتلى بوجود هذا الفريق من الناس

بين ظهرانيه: فهم مرضه العضال، وسرطانه المستحكم، والداء المزمن في جسم هذا المجتمع المسكين، وعائق من عوائقه الرئيسية عن الانطلاقة والسير قدما نحو العيش الأرغد، والتقدم والسؤدد؛ فحياة هؤلاء وموتهم لا يؤبه بهما، بل الثانية لهم أجدى وأنفع.

وأما الصنف الثاني من صنفي النوع الإنساني، فهم أولئك الذين يزنون حياتهم وحقيقة وجودهم بميزان ما يسدونه من النفع للإنسانية، ويقيسون قيمتهم بمقياس ما يقدمونه من خدمات لصالح وإسعاد المجتمع البشري ويرون أنهم لا يعيشون لأنفسهم فقط، بل يحيون ـ أولا وبالذات ـ لأمتهم ومجتمعهم. تؤنبهم ضمائرهم إن هم قصروا في الإصلاح أو جلب النفع العام، ويغمرهم الأسى والأسف إن خانتهم الامكانيات، أو عثر بهم الجد، فلم يرضوا قلوبهم الكبيرة بخدمة الصالح العام. أولئك هم الحقيقون باسم الأحرار، إذ لم يستعبدهم حب النفع الذاتي، ولم تأسرهم الأغراض الشخصية، أو إرضاء الرغبات الحيوانية، ولا استهوتهم المادة لذاتها. فهم «فتامينات» الأمم، وروح المجتمع، والقلب النابض في الشعوب، وهم المضحون بكل شيء ـ حتى بحياتهم إن اقتضى الحال ـ في سبيل إسعاد غيرهم. فحياة هؤلاء هي نفس حياة المجتمعات والإنسانية، ومماتهم مماتها ووجودهم فضل من الله ونعمة، وفقدانهم مصيبة وكارثة ونقمة.

ونرى من نافلة القول، ومن باب تحصيل الحاصل إذا قلنا إن الأستاذ الأجل محمد المختار السوسي، أغدق الله على جدته شآبيب الرحمة والغفران، من هذا الصنف من الناس. فقد كان ـ رضي الله عنه ـ من أبرز صفاته، علاوة على علمه الغزير، وأدبه الكثير، وثقافته الواسعة ـ كان من أبرز صفاته علو الهمة، ولامتلاء شفقة ورحمة، سيما نحو أبنائه الطلبة، والوطنية الصادقة، ودماثة الأخلاق، وحلاوة الشمائل، وتكريس حياته للعلم تحصيلا ونشرا. أما علو الهمة فقد قال عن نفسه ـ وبر في قوله ـ :

فمن كان يرضى مفخرا بجدوده ... ويدلي بهم للفخر في كل مشهد
فإني وإن كانت أصولي أماجدا ... سراة كراما سيدا إثر سيد
سأدلي إذا حق الفخار بسؤدد ... طريف كما تجنيه من غصنه يدي
فلو شئت أن أنسى تليدي لكنت من ... طرائف مجدي وحدها خير أمجد

إن الأستاذ المختار لتواق بطبعه إلى ذروة المجد. فقد انكب منذ نعومة أظفاره على ارتضاع أفاويق العلم والأدب بالمدارس السوسية حتى أحرز فيها على قصب السبق بين أقرانه وزملائه.

وقد كان في إمكانه، وهو شاب في العقد الثاني من عمره، أن يستغل تفوقه العلمي، مضافا إلى مجده العظامي، ويخلد إلى الراحة والتنعم. فأبواب الإمكانيات المادية مفتوحة في وجهه، وفي متناول يده؛ فله أن يتفرغ للملذات، ومعه من المجد الطارف والتالد ما يخدمه.

كيف لا، وهو ــ علاوة على ملء وطابه بالأدب والعلوم ــ ابن الشيخ الحاج علي الدرقاوي، ذلك الشيخ الذي طبقت شهرته الآفاق، وله من الأتباع في القطر السوسي وفي غير القطر السوسي الآلاف المؤلفة من البشر، سيما في ذلك العصر الذي لم تزل فيه لمشائخ الطرق تلك السطوة الباهرة، فالناس يتقون سخطهم، ويسارعون إلى الفوز بمرضاتهم ويلتمسون صالح دعواتهم، ويستمطرون من بركاتهم. فكيف لا يستدرون عطف روح شيخهم ــ حيا وميتا ــ بخدمة ولده العالم الشاب المهذب، وكيف لا يتسابقون إلى تلبية ابن استاذهم ومربيهم وولي نعمتهم، وفلذة كبده، وهو العالم الحلو الشمائل المهذب الأخلاق، المستقيم السلوك، الذي ترنو إليه القلوب وتحنو عليه العواطف. ولكن الشاب نجل الشيخ المتبرك به لا يأبه لذلك، ولا يستهويه شيء مما هنالك، بل أعرض عن كل المغريات، وعن جميع المثبطات، فشمر عن ساعد الجد، في فجر شبابه موليا وجهه شطر مراكش الحمراء، ليصنع مجده بيده، ويرتضع أفاويق المعارف، ويستكمل ثقافته العليا، ثم يحج العاصمة العلمية فاس فالرباط، حيث أتم بناء صرحه العلمي والثقافي، بالإضافة إلى إحكام أساليب المقاومة الاستعمارية. وأخيرا يؤوب الأستاذ المختار إلى عاصمة الجنوب مراكش، تلك العاصمة التي كانت تنتظره بفارغ الصبر، تنتظر فيه ذلك الأستاذ المخلص المحنك الذي ينظر إلى أمته المغربية وهي ترسف في قيود الاستعمار، والذي لن يألو جهدا ولن يدخر وسعا في سبيل تحرير الأمة وإيقاظ همم الشباب لإزالة الذل ومحو العار.

هو ذا الأستاذ المختار يلقي بمراكش عصى الترحال، ويتصدى للتدريس، وزرع البذور الأولى للوطنية الحقة، والمقاومة الجدية للاحتلال، وشحذ الشباب،

وإيقاظ وعيه، وتفجير طاقة النشء المراكشي والسوسي بل والمغربي عموما، ليصنع منهم رجال المستقبل وأبطال التحرير.

والأستاذ المختار لا يفرق في طلبته بين أبناء الأغنياء وأبناء الفقراء، ولا بين الأقربين والبعداء. فقد شمل الجميع اعتناؤه وإخلاصه، ووسعت الكل شفقته وحنانه، بل تراه يخصص ويرصد لأبناء الفقراء ــ لاسيما النجباء منهم ــ قسطا كبيرا من عنايته المعنوية والمادية. فقد كان يشجع نجباء الطلبة، ويأخذ بيد القاصرين منهم وينشط الكسالى، ولا ينسى مع ذلك الناحية المادية. فقد كان ــ رحمه الله ــ يلفت أنظار الأغنياء المراكشيين وتجارهم إلى أن يجعلوا من أموالهم نصيبا مفروضا لمن عضهم الفقر بأنيابه من الطلبة. ومع هذا فقد كان يشارك أبناءه الروحيين حتى في قوته اليومي، كما يغدق عليهم من علمه وتربيته.

أما نشاط الأستاذ المختار في الحقل الوطني، ومقاومة الاستعمار مباشرة، فيكفي في بيانه ما اقض مضجع مكتب الاستعلامات الفرنسي بمراكش، وحير دهاقنة الاستعمار منذ الأيام الأولى من استقرار الأستاذ المختار بمراكش. فقد كان رجال الإدارة الفرنسية يغرونه ويلوحون عليه بالوظائف المحترمة ذات الدخل المادي المدرار قصد صرفه عن تربية النشء وإعداده للكفاح. والأستاذ المختار لم ينخدع، فلم يجدوا إلا نصب الفخاخ فلم يقع فيها؛ وإذ لم يظهر لهم منفذا للتخلص منه، فقد رأوا انه لم يكن بد من نفيه بأسباب اعتباطية، وقد كرروا نفيه فقاسى من وحشته ما قاسى، سيما قبيل الاستقلال. على أن نفي الأستاذ المختار قد كان كله أيضا علينا خيرا وبركة.

فقد تفرغ في نفيه للتآليف الكثيرة، أحيا بها مجد سوس، وألقى الأضواء على سر ازدهار الإسلام والعروبة بالصقع السوسي، فترك لنا تراثا عظيما من مؤلفات شتى لا يتأتى لغيره القيام بأعبائها لاسيما موسوعته العظيمة **المعسول** ذلك الكتاب الذي كشف فيه النقاب عن كثير من رجالات سوس، وعلمائها الذين حافظوا قرونا على الإسلام والعروبة، وحملوا مشاعل الثقافة والعرفان في الصقع السوسي وغيره.

ذلكم هو الأستاذ محمد المختار السوسي الذي كان علينا موته مصيبة عظمى. إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأبدل لنا خيرا منها.

إن جليل الأعمال تبكم ألسنة الخطباء، وتخرس أقلام الكتاب



للأستاذ لسان الحق أحمد
ثانوية الأزهر ـ الدار البيضاء

حضرات السادة! إن النوائب والرزايا يفدح أمرها، ويجل خطرها، ويشتد وقعها على النفوس، بقدر جلال الأشخاص ومكانتهم الاجتماعية ومراكزهم السامية التي يحتلونها بين طبقات الأمة، وإن أية رزية ـ مهما عظمت، عدا التي تصيب في علم أو دين أو خلق ـ لهينة على القلوب الصادقة في إيمانها، الموقنة في أعماق الفؤاد، بأن دار الدنيا دار جواز واختبار، ودار الآخرة دار جزاء واستقرار.

أجل! جل الخطب وادلهم، واضطرب الفكر وحار، وجمد القلم وارتعش، وتجلجل اللسان وتلعثم. فماذا عسى أن يقول القائل؟ المساوئ والرذائل في إقبال، والمحاسن والمكارم تولي الأدبار.

إن غياهب الجهل تسدل قناعها القاتم على الوجود، وأنياب الظلم والطغيان كاشرة، ومخالب الأمراض الاجتماعية من فسق وفجور والحاد وزندقة تفتك بطبقات الأمة في كل مكان، بينما نرى المصابيح الوهاجة تنطفئ أمام المسترشدين، تنطفئ بعدما أشعت نور المعرفة في الأرجاء، وأنارت الطريق لوراد الصلاح والعرفان، وبينما نرى جذوة الوعظ والإرشاد خمد وميضها تحت رماد الإلحاد والزندقة، ونرى العلم الحقيقي يرتفع يوما بعد يوم بارتفاع العلماء الصالحين المصلحين.

ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، فأين المصلحون ؟ وضللنا الطريق السوي، فأين المرشدون ؟ كل يوم نشاهد ركنا من أركان الدين يتهدم، وعلما من أعلام العلم والعرفان يتزعزع، ومنبعا معينا من ينابيع الفضيلة والكرامة يغيض، ودوحة من التي نتفيأ بظلالها الوارفة، ونقطف من أثمارها الدانية، تذبل وتذوي أغصانها تحت عواصف الدهر وصرفه، بالأمس رأينا هذه الأمة تنجب فطاحل العلم وعمداء الأدب، وقادة الفكر والإصلاح الديني والاجتماعي، فقادوا سفينتها بعزم لا يفل إلى شاطئ السلامة بكل ثقة ونجاح. واليوم نشاهد ــ ويا للأسف! ــ مشاهد مؤلمة، نشاهد المسخ وقلب الحقائق، نشاهد الافتخار بالفسق والفجور، نشاهد التظاهر بمظاهر الإلحاد والزندقة، نشاهد عهود الله ومواثقه تنقض، والوفاء للخلاعة الأوربية الجارفة لمعتقداتنا الدينية وعاداتنا القومية وتقاليدنا الحسنة وقيمنا الروحية.

وهل كان أستاذنا ــ فقيد الفضيلة والأخلاق، وشهيد العلم والعرفان، أستاذ الجيل، سيدي محمد المختار السوسي تغمده الله برحمته ــ إلا من تلكم الزمرة النادرة التي سمح بها الدهر الضنين بكل نفيس ومن تلكم الثلة الفذة التي نفقدها بلا خلف، تلكم الروح الطيبة الزكية التي كرست كل حياتها في سبيل نشر الثقافة العربية الإسلامية، وفي سبيل الدفاع عن المبادئ التي ما فتئ الإسلام يدعو إلى التشبث بها، وبذلت جهودا مضنية في سبيل تكوين جيل صالح مشبع بروح الوفاء والإخلاص، متشبث بأخلاق فاضلة ووطنية صادقة. هذه الشخصية التي من العبث أن يحاول يراع الكاتب أن يصفها أو يعدد محاسنها، فنترك الحقائق والأعمال تنطق بلسان الحال عن أوصاف الفقيد ومحاسنه، وبذلك نحط عن أنفسنا وزر المسخ لما نحن عن وصفه عاجزون. إن جليل الأعمال تبكم ألسنة الخطباء، وتخرس أعمال الكتاب. ففي أي ميدان نستطيع القول ؟ أفي ميدان التأليف أو التدريس أو الإصلاح الديني أو الاجتماعي ؟

فهذه جمعية علماء سوس وأعمالها الجليلة، وهذا معهدها الديني يدينان للفقيد بمزيد الفخر والامتنان. هذا المعهد الذي برهنت الظروف على أنه مفخرة شمال إفريقيا ومحط آمال الأمة الثقافية والدينية والخلقية.

اللهم أسدل على الفقيد رداء رحمتك، وأسكنه فسيح جنتك مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

كلمة تأبينية



للأستاذ أحمد عفيف
المعهد الإسلامي بتارودانت

سادتي العلماء! إخواني الفضلاء!

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد؛ فيسعدني أن أتقدم أمام حضراتكم لمشاركتكم في هذا الحفل العظيم، وفي تأبين فقيد الإسلام والعروبة، أستاذنا الجليل، وأبينا الثاني، سيدنا وسندنا سيدي محمد المختار رضا الله، الذي أدى واجبه لأمته خير أداء، قدس الله روحه، وجزاه عن أمته خير جزاء.

لقد خصص أستاذنا رحمه الله حياته لخدمة الإسلام واللغة العربية، ونشرهما بين أبناء وطنه في الحواضر والبوادي بكل ما يملك من وسائل وإمكانيات، ولم يأل جهدا في تبليغ الرسالة الملقاة على عاتقه، وقد قضى حياته رضي الله عنه ما بين حلقات

الدروس العامة والخاصة، وبين مجالس للمذاكرة والإفادة، وبين مطالعة كل ما يقع تحت يده من الكتب قديمها وحديثها، وبين تأليف الكتب وتنسيقها وتنقيحها وطبعها تعميما للفائدة. وكان أثناء هذا كله يرشد المسلمين على اختلاف طبقاتهم، يرشد التاجر لينصح في تجارته، والفلاح في فلاحته، والصانع في صناعته، والموظف في وظيفته، وكان منزله كعبة الزوار، يقصده الناس للاستشارة والاستفادة، وكان رحمه الله يستقبل الكل بصدر رحب، وبشاشة وترحيب، يذاكر كلا فيما يعنيه، العالم في علمه، والطالب في درسه، والتاجر في تجارته، والفلاح في فلاحته، والصوفي في أذكاره ونوافله، مستدلا بالآيات القرآنية، والأحاديث السنوية الواردة في ذلك، كما كان نصوحا لأبناء المسمين، ينصحهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة والاعتناء بالعلم وتعلمه وتعليمه لوجه الله، وينصح تلاميذه إلى الاطلاع على كل شيء بشرط ألا يتأثروا بكل شيء، وأن يأخذوا من كل شيء أحسنه، ويجنوا الثمار، ويتركوا العود للنار، وكان شرطه الأساسي في قبول تلاميذه تقوى الله في السر والعلانية، لأنها شرط في فهم العلم وتحصيله، وكان رحمه الله يدور مع الحق أينما دار، لا تأخذه في ذلك لومة لائم. وقد قال في أول حياته:

الحق حق وفيــــــه ... أحيا وألقى الحماما
فإن أعش فمحـــق ... وإن أمت فسلامــا
ومـا أبـالي إذا ما ... حسنت ربي الختامـا

وهكذا عاش أستاذنا حياته كلها، عالما عاملا بعلمه، مسلما مومنا بربه، مثاليا في التقوى والتواضع والتضحية بالنفس والنفيس، وكان من الذين وصفهم الله بقوله : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما، إنها ساءت مستقرا ومقاما، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما، والذين لا يدعون مع الله إلـٰها آخر...﴾، ومن الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : «ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم في مجالس يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون»؛ومن الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم : «أحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله». وقد كان رحمه الله لا يبخل على أحد بعلمه ولا بماله ولابجاهه، كما كان يأوي إليه أبناء المسلمين فيقوم بتربيتهم وبتعليمهم وبالإنفاق عليهم لوجه الله الكريم، جزاه الله عنا خير الجزاء، وهل جزاء

الإحسان إلا الإحسان ؟ ولئن غابت عنا شمس أستاذنا المنعم، فقد خلف وراءه نجوما لامعة : تنير الطريق للسالكين المهتدين، وتأخذ بأيدي التائهين في صحراء الجهل والغباوة، كما خلف ثروة عظيمة لأبناء وطنه في عشرات المجلدات، يحق لهم الفخر بها، وقد خلد فيها أعلام وطنه وآثارهم العلمية والأدبية، ولولا خدماته الجبارة، ومواصلة ليله بنهاره في اكتشافها واستخراجها وتنسيقها لصارت نسيا منسيا، فرحم الله تلكم الهمة العالية التي بذلت ما بذلت في الخدمات الاجتماعية...

سادتي، إخواني، وبما أنني طرقت بعض جوانب حياة أستاذي التي شاهدتها بأم عيني، ولامستها بيدي، لابأس ـ إن تفضلتم بالاستماع ـ في أن أطلعكم على رؤيا رأيته فيها بعد وفاته بشهر تقريبا، أقول في ليلة الجمعة تاسع عشر رجب الفرد 1383 هـ (1963/12/6) رأيت فيما يراه النائم اني دخلت على أستاذي سيدي الحاج محمد المختار رضا الله، قدس الله روحه وأسكنه فسيح جناته في غرفة، فقال لي: وجدتني أستعد للنوم، ولاحظت في الغرفة مصباحين تقليديين، أحدهما منطفيءٌ، والآخر كاد ينطفيءُ، ثم دخلت عليه مرة أخرى في نفس تلك الليلة في غرفة أخرى غير التي رأيته فيها قبل، فوجدته جالسا بين أكوام من الكتب يطالع أو يكتب، فلما رآني قام من مكانه متبسما كعادته، ولاحظته في صحة جيدة وعلى حالة حسنة، فطلب مني أن أحضر له متكأ يتكيءُ عليه، ولما اتكأ قليلا قام إلى فراش وثير فاضطجع عليه وطلب مني أن أغطيه...

وأنا الآن أطلب الله العلي القدير أن يغطي أستاذنا برحماته الواسعة، وأن يتوفانا مسلمين ويلحقنا به صالحين، والحمد لله رب العالمين.

مـآثـر ومـآثـر



للأستاذ الحسن العبادي
المعهد الإسلامي بتارودانت

لقد كان بودنا ومن الأمنيات الغالية علينا ـ أيها السادة العلماء ـ أن نقيم هنا بهذا المركز تجمعا عظيما مثل هذا والفقيد حاضر بيننا؛ ولكن شاءت إرادة الله ـ ولا مشيئة إلا مشيئة الله ـ أن تفوتنا هذه الأمنية العزيزة علينا، وأن نقيمها ذكرى تأبين، والفقيد طيب الله ثراه في عالم غير عالمنا المادي.

أيها السادة! إن مصابنا لجلل جدا بقدر جلال فقيدنا رحمه الله. لهذا فمهما أقمنا من ذكريات، وكيفما كانت البساطة أو الأبهة التي أحطنا بها هذه الذكريات، وكيفما كانت تعابيرنا المختلفة، فإنها لن تفصح ولن تستطيع أن تفصح عن واقعنا المؤلم، أو تعبر عما نشعر به من فراغ، أو تسد لنا هذه الفجوة المفتوحة في أحصن ركن حصين عندنا، ولن تزيد شيئا على ما قاله الشاعر ابن عبدون وهو يرثي ملوك بني المظفر:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

أيها السادة! إن إقامة الذكرى لرجل عظيم مثل فقيدنا رحمه الله يطلب منا ذكر بعض مآثره، ولكن أنى لنا ذلك؟ وهل يمكن لنا أن نتحدث عن رجل صنع التاريخ، بل جعل التاريخ يقف احتراما له هنيهة، مطأطئا الرأس أمامه. والواقع أن التحدث عن رجل عظيم متعدد الشخصيات والجوانب مثل فقيدنا طيب الله ثراه، يجعل القلم جامدا بين البنان، بل يجعل الإنسان حائرا عيى اللسان، وما كل ما في القلب يمكن أن يقال.

فمن أي جانب أبدأ مآثر الفقيد؟ فها أنا أمام بطل مقاوم ومؤرخ أمين وأديب مشهور، ومحدث وفقيه وصوفي منير، وغيرها من الصفات كثير. إذن فنحن أمام شخصية متعددة الجوانب تجعل من يريد التحدث عن هذا الرجل العظيم يحار ويتطلب منه هذا العمل تسويد مجلدات ضخام، ورجائي أن لا يقوم بهذا العمل فرد واحد بل جماعة من العلماء العاملين.

أيها السادة! إن جانبا كبيرا من عظمة فقيدنا تكمن في أنه بطل من أبطال المغرب الذين يفتخر بهم، ومن أولئك المكافحين الذين استرخصوا كل غال ورخيص. وفضلوا المنافي والسجون ورفضوا سكنى القصور والمناصب والمغريات. رفضوا هذا كله فسكنوا القلوب. بل لقد كان فقيدنا طيب الله ثراه من أولئك المومنين الأقوياء الذين يؤمنون بالكفاح السلمي، فكافح خلال دروسه ومحاضراته ومناقشاته وندواته، بل كانت جميع حركاته وسكناته كفاحا بطوليا، يطلقها كلمات، فتدوي دوي الرصاص لتغزو قلوب الشباب فيتحمس للنضال، وقلوب المستعمرين فيكيدون كيدا ثم يموتون غيظا.

أيها السادة! إن الواقع يفرض علينا أن نقول الحقيقة. لقد نفي الكثير من المغاربة الأبطال وسجن الكثير بل أعدم الكثير، ولكن أي واحد من هؤلاء وأولئك ترك لنا نفيه أو سجنه ما تركه لنا سجن الفقيد ونفيه؟ لقد نفاه الاستعمار، فضرب الاستعمار الضربة القاضية، ولقنه دروسا لن تنسى أبدا. لقد كانت حريته من دروس الحرية فخاف الاستعمار، فأفقده الحرية وسجنه فكتب لنا التاريخ في نفيه، وهل تحدث التاريخ عن مثل هذا الرجل أيها المؤرخون؟ فلو علم الذين سجنوه أنه سيكتب التاريخ لبلده ويسدد لهم هذه الضربة لما أقدموا على هذه الفعلة الشنعاء. والواقع أنه كان من أولئك الذين إذا سجنوا أو نفوا برزت لهم قيم وخلدت لهم آثار، من الذين لا

يستسلمون إلى اليأس والراحة، ولا تخمد لهم شرارة حتى يصلوا إلى الهدف المنشود، أو ليس هو القائل:

لتسقط على الأرض السموات ولتقم قيامة شعبي فالهلاك ولا الذل

أيها السادة! إذا انتقلنا من ميدان البطولة والكفاح إلى ميدان آخر، فليس معنى ذلك أنني استوفيت هذا الجانب حقه، ولكن لأني موقن بأنني لن أستوفيه.

أيها السادة! إنكم تقيمون اليوم ذكرى رجل كتب لكم التاريخ. فها هو أصبح تاريخا، فهل فيكم من هب ليكتب له التاريخ كما كتب لكم التاريخ؟ إننا أمام مؤرخ أمين كتب الموسوعات الكبار، وفي عصر عجز فيه ــ والله ــ كثير من الناس حتى عن كتابة رسائلهم التي هي من ضروريات الحياة.

لقد عرف الفقيد حق المعرفة أن الحياة لمحة ثم تنقضي ولن تدوم، فذهب يفنيها فيما يبقى حتى نهاية العالم. فكتب تاريخ المغرب الكامل ولا أقول تاريخ سوس. فسوس هو صانع تاريخ المغرب القديم والجديد. والكتاب المعسول الذي اتحف به فقيدنا سوس ليس من نوع تلك الكتب الموسمية التي تمر عاصفة حرارتها بذهاب جدتها فتطرح في زاوية النسيان. ولكن من تلك الكتب القيمة التي سوف تبرز قيمتها وأهميتها يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل: فلقد سد به نجل سوس البار السيد محمد المختار السوسي الثلمة التي طالما ظلت مفتوحة. والحمد لله حيث لم تتح هذه الفرصة لغير ابن بجدتها والخبير بها. ولقد قطع به الطريق إلى الأبد، وبرهن بالحجة الدامغة، وجعل أمام الأمر الواقع أولئك الذين يدفعهم دافع الحقد، والحقد فقط، لينكروا لسوس أي تاريخ. فلا تستكينوا يا أبناء سوس، ولا تهنوا وارفعوا رؤوسكم وصلوا حلقات تاريخ حاضركم المشرق بماضيكم المجيد، ولا تكذبوا رائدكم الأول الذي أطلقها صرخة مدوية في عنان السماء حين أعلن أمام العالم أن لسوس تاريخا مجيدا وأمجادا.

أيها السادة! إن الحديث عن فقيدنا رحمه الله يقترن بالحديث عن النضال المغربي والتاريخ المغربي والأدب المغربي، والحديث عنه كأديب يعد غير ذي موضوع أمامكم. فكراسات كثير منكم لا زالت مسطورة بقصائده الغر الطوال والقصار، وصوته الجهوري لا زال يرن في أذن كثير منا، وهو يلقي قصائده أمام المذياع، وديوانه وإن لم ير النور بعد، فهو ينتظر منكم الدراسات والتحليلات. فلمن تتركونه؟ فأدب

فقيدنا رحمه الله يعد قنطرة لتطوير الأدب السوسي، الذي ظل طوال قرون قابعا في أدنى الأرض من الجنوب المغربي حتى وجد له متنفسا في هذا الفقيد. والواقع أنه رحمه الله كان مدرسة أدبية مستقلة بنفسها، لا في التجديد والتطوير فحسب، بل وفي التقليد والحفاظ على المقومات الأدبية، وهذه من مميزاته أيضا.

أيها السادة! إلى جانب هذا كله فالفقيد له القدح المعلى في تدريس الحديث والفقه، وهو محدث وفقيه بارع إلى درجة الاجتهاد. وبيننا هنا من درسوا عليه الأصول والفروع: فالنتيجة تنبئ عن صحة المقدمات. فهذا الأستاذ الذي استطاع وفي فترة وجيزة أن يخرج لنا جماعة شهيرة من خيرة شباب المغرب اليوم، ومن علمائها الأفذاذ، لا يكون إلا من أولئك الأساتذة المبرزين الذين قل نظيرهم اليوم أو هو مفقود.

ويسرني جدا أن أحياه الله حتى رأى في طلبته ما سره قبل أن يفارق الحياة، فمات قرير العين مستريح البال، لأنه ترك أعمالا لن تنقطع أبدا إلى يوم القيامة، وذلك مصداقا للحديث الشريف : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

أيها السادة! إذا نسينا من جوانب هذا الرجل العظيم الشيء الكثير فلن ننسى ذلك الجانب الذي أولاه كثيرا من الأهمية في حياته، ذلك الجانب هو جانب التصوف: فقد كان رحمه الله صوفيا بطبعه على شكل صوفية السلف الصالح؛ ولا غرابة فلقد نشأ فيها وشب عليها وشاخ، ولقد كانت أقواله وأفعاله كلها رحمه الله تدل على عمق ورسوخ الإيمان بذلك السر الخفي على الكثيرين.

فرحم الله فقيدنا العظيم، لقد جاهد في سبيل إعلاء كلمة الله وعلم العلم والشريعة لعباد الله، وعبد الله وأرشد إلى عبادة الله، فهنيئا له إذ صدق عليه قول الله تعالى :﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾.

نفـــثــة ودمـــعـــة

للسيد رزقي أحمد بن عمر
المحكمة الإقليمية بأكادير

معشر السادة ! إن اجتماعكم هنا بمناسبة هذه الذكرى الأليمة ذكرى مرور أربعة أشهر على وفاة المغفور له سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله، يرجع بالذاكرة إلى ما قبل سنة 1956 يوم كان هذا المعهد الإسلامي المبارك مجرد حلم براق يداعب أفكار ثلة من رجال سوس وأبنائه المخلصين، أولئك الذين يعملون ليل نهار ليجد أبناء القطر السوسي مكانتهم اللائقة بين إخوانهم الآخرين، الذي تنبهوا من سنة الغفلة واستفادوا مما يدور حولهم من الأحداث وما توفر لهم من إمكانيات، فهبوا يفرضون وجودهم غير مزاحمين، نتيجة ما حصلوه من المعارف في ميادين شتى.

إن أبناء القطر السوسي يفرض عليهم الواجب الوطني بعد ما ساهموا بحظ وافر في نيل استقلال بلادهم أن يتحملوا مسؤولياتهم كمواطنين في جميع الميادين، التي تمس بالحياة العامة للبلاد.

هذه بعض الأفكار الملحة المتزاحمة في صدور أولئك الرجال العظام، وهم ينظرون إلى الجيل الصاعد من أبناء وطنهم، نظرة الآباء الرحماء إلى الأبناء البررة، الذين قدر لهم أن يعيشوا عصرا انقلبت فيه الأوضاع رأسا على عقب، ولم يجدوا من مسايرة العصر والسير في ركاب التقدم البشري المندفع بخطى آلية نحو الأمام.

ومن يدري ؟ من يدري – أيها السادة! – من هو المحرك الرئيسي والرجل العظيم الذي بث هذه الأفكار في تلامذته الآخرين، ونماها فيهم بوسائله الخاصة، وتعهدها واستفرغ في إبرازها إلى حيز الوجود، أوقاته التي لا تقدر بثمن؟

من يدري من هو الداعي الأول والمخطط الأكبر، الذي يحاسب نفسه على الانفعالات فضلا عن الحركات، في تواضع يلمسه الداني والقاصي؟

إنه أيها السادة ــ وكلكم تعلمون ــ فقيد العلم والعمل، فقيد السلوك المستقيم، فقيد السنة المطهرة والدين الخالص، فقيد الإخلاص لربه وملكه ووطنه.

إنه المختار السوسي الذي فكر حينما فكر، ليبدأ العمل من الأساس، وعلى قاعدة تصمد في وجه العواصف العاتية عواصف الأفكار الهدامة، التي أخذت كتائب التبشير وسماسرة الإلحاد والمروق من الدين، يثيرونها ويغزون بها قلوب الشباب الصافية، فهيأ لبناء الأساس الراسخ العناصر التي تنفعل بالمؤثرات.

وهكذا، وفي فرصة مناسبة، برزت إلى الوجود جمعية علماء سوس العتيدة، لتؤدي رسالتها الخالدة نحو ربها ووطنها وملكها، وتكونت بولادتها نواة صالحة لتشييد عمل جبار آخر ليكون باكورة من ثمار الاستقلال الشهية.

وفي فترة تتسابق مع الزمان، برز المعهد الإسلامي الذي سيعمر ما دام للثقافة العربية الإسلامية أنصار ولم يلبث أن استلفت الأنظار بشكل أو بآخر، فقام بزيارته معالي وزير التربية الوطنية آنذاك العلامة الجليل خريج جامعة القرويين بالمغرب، وخريج «كوليج دوفرانس» بباريس (مدينة النور) السيد محمد الفاسي، وانتزع منه هذا العمل الجبار كل إعجاب وتقدير: «إن رجل القرن العشرين بالمغرب، المختار السوسي رحمه الله، ينفذ ببصيرته التي تستضيء بنور الله إلى خفايا الأمور، وهي ما تزال تمخضها حوادث التاريخ لتصبح فيما بعد حدثا تاريخيا ينتزع من الرجال الكبار إعجابهم وتقديرهم له. ولقد سجل التاريخ الذي لا ينسى للزائر الكريم (محمد الفاسي) خطوة جريئة في تدعيم أركان هذا المعهد العتيد».

كما تفضل جلالة المغفور له سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه، فشرف هذه البقعة الطاهرة بزيارته الميمونة، وشكر من صميم قلبه القائمين بهذه المفخرة الجليلة، ووهب من ماله الخاص ما سيجده ذخرا عند ربه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا. واهتدى بهديه في ذلك ولده جلالة الحسن الثاني، وما بالعهد من قدم، ومن يشابه أباه فما ظلم. إن فقيد سوس خاصة، والمغرب عامة، ومرشده الأمين حين انتصب داعية إلى الخير لم يدع إلى ما انهمك فيه المعسكران، الشرقي والغربي، من التسابق إلى تشييد أضخم المولدات الذرية لإنتاج أكبر قدر ممكن من المواد المبيدة

بالجملة لأبناء البشرية، لتلوح بها مهددة الدول النامية، كي تبقى دائبة على السير في فلكها صاغرة ذليلة. إن المختار السوسي الذي يمثل القلب النابض في تلك الزمرة الصالحة الممثلة في جمعية علماء سوس، داعية صلاح وحماية سلام. وهو لذلك يسعى لبناء مولد ضخم ولكنه من نوع آخر، ينتج لا قذائف، ولكن كتائب من الطلبة، تحمل، لا على رؤوس نووية، وإنما على السيارات العادية إلى أطراف البلاد، لتنفجر هناك، بما لديها من العلم، ولتبيد ظلمات الجهل التي خيمت في تلك الأماكن ولتستأصل الأمية التي تفشت في أبنائها. إن أهداف الرجل العظيم، المختار السوسي، رحمه الله، بعيدة المدى وتتمثل في نشر العلم والفضيلة في مغربنا العزيز، وفي إحياء السنة النبوية في وقت طغت فيه الماديات على الروحيات؛ وتتمثل كذلك في التسابق إلى العرفان، وتحصيل العلوم العصرية، والاستمتاع بخيرات المدنية في دائرة الفضيلة والشرف، وعلى منهاج الكتاب والسنة، والمنطق والعقل. إن أهدافه لا تعترف بالانزواء والإعراض عن متطلبات العصر الحاضر وعن فضائله. إن أهدافه تدعو إلى التحرر وإلى الاندفاع نحو موارد العلم الحديث، وكثيرا ما يرسلها صيحات عالية متتالية في آذان من لا يزالون يغطون في نوم الغفلة وهم عن الحق ساهون.

وبعد؛ فهل هذا كل ما قام به المختار السوسي؟ كلا ثم كلا! إن الأعمال الجليلة التي خلدها المختار السوسي رحمه الله، ليرفع بها رأس بلده عاليا بين بلاد العالم، وليؤدي بها أمانته فيما بينه وبين ربه، أكثر من أن تحصى، وأجل من أن توصف. فلندع التاريخ يتكلم. ولقد كان ـ رحمه الله ـ حساما صارما وسهما صائبا في نصرة السنة، وكان سلفيا بالدرجة الأولى، وكان .. وكان .. والشيء الذي يؤسف له ويجعل الصبر عنه عزيزا والسلو عنه محالا، أننا فقدناه ونحن أحوج ما كنا إلى حياته الغالية، وإرشاده الناجع. فليبكه التاريخ، وليبكه أبناء العلم خاصة، ولتبكه العزيمة الفولاذية التي لا تعرف هوادة ولا أناة في إحقاق الحق وإزهاق الباطل. إن روحه ستظل تراقب أعمال الصالحين من أبناء هذا الوطن وستبقى حريصة على الوفاء منهم بالمبادئ السامية التي رسمها بمداد التضحية، وخلدها صحائف لامعة لا تبلى، ما دام في سجل التاريخ رجال خالدون. فسلام عليك أيها الرجل المثالي. سلام على روحك الطاهرة الخالدة. سلام على عبقريتك الفريدة. سلام عليك مادام يوم فراقك ذكرى عظيمة وأليمة، تؤجج بين حنايانا لواعج الأسى من أجل فراقك وسنسكبها عبرات ساخنة، كلما حضرت قضية، وليس لها أبو حسن:

لعل انسكاب الدمع يعقب راحة   من الوجد أو يشفي شَجِيَّ البلابل

فإنا لفراقك أيها المختار العزيز لمحزونون، ولو خيرنا لاخترنا، ولكن ربك يخلق ما يشاء ويختار.

فلتنم يا مختارنا قرير العين



للسيد أرفاك أحمد
قاض بالمحكمة الشرعية بإنزكان

سادتي الأعزاء، إخواني الفضلاء ! إلى متى هذا البكاء والعويل؟ ألم يؤد فقيدنا المختار السوسي واجبه كاملا غير منقوص؟ ألم يترك فينا عصارة فكره وخلاصة اجتهاده؟ ألم يوجد بين ظهرانينا فحول من تلامذته ومقتدرون من مرشديه ورجالات من قومه؟ ألم ينتشل رحمه الله سفينة سوس القويمة الجوالة بوجود هذا المعهد الإسلامي المبارك؟ فما معنى هذا البكاء وهذا العويل بعد هذا، وكلكم تعلمون ان القطار السوسي السعيد سبق أن تفجرت به ينابيع العلم والهداية والعرفان وذلك منذ قرون وأجيال، وتعلمون أن بسببها تخلق كل سوسي كريم بأخلاق طيبة حميدة، وبسببها تكونت أسر وبيوتات علمية عديدة، وما مختارنا السوسي إلا ثمرة خلاصة قد انبثقت من أسرة كريمة بقلب هذا القطر السعيد، وهي عريقة في المجد والسؤدد والكرامة،

وتربت من هذا المعين الروحي السلسبيل. غير أنه لم يكن في الواقع إلا زهرة واحدة فواحة بهذا الغصن السوسي الفنان من الدوحة المغربية العظيمة. ولما فاح عبيرها وسطع نورها، انكشفت أسرار هذا القطر وبانت كنوزه وآثاره ولم تعد خافية تحت خمائل الحشمة والتطرب والانكماش، فتفطن لها ذلكم الداهية العظيم محمد الخامس طيب الله ثراه، وهو الذي لا ينظر في رعيته إلا بنظرة الله المجردة، فأدناها منه وأكرمها، ثم جعلها إكليلا وهاجا بالتاج المغربي الشريف. وما أن لاح به نوره وسطع، وانتشر ضوءه وتشعشع، حتى اختاره الرحمن لجواره وأسبغ عليه من نعمه ورضاه. وقد أغدق عليه خلف محمد الخامس، وحافظ سره وهديه، ملكنا الحكيم مولانا الحسن الثاني بفضله ورضاه، فرثاه وامتدحه بما أثلج صدور السوسيين، وصار بردا وسلاما على كافة قلوب المومنين، ورجال الملة والدين، وقال فيه كل فاضل غيور كلمته الحق. وعلى هذا، فما معنى البكاء والعويل بعد هذا أيها الإخوان؟ أليس في هذا تأس وعزاء، وفخر ورضاء؟

فلتنم يا مختارنا قرير العين موفور الكرامة! إن أبناء قومك لن يخيبوا ظنك ورجاءك. إنك دعوت شعبا له نفسية طموحة وثابة: علموا أنك تريد لهم إذا قضيت الصلاة أن ينتشروا في الأرض، وقد انتشروا فعلا وتغلغلوا؛ تريد لهم أن يكرعوا من معين الأدب والمعرفة، فاندفعوا وتزاحموا. نم قرير العين موفور الكرامة! إن أبناء قومك لن يتأخروا ولن يرضوا بدون المقدمة، وإن سفينتنا القوية الجبارة قد اندفعت تمخر عباب البحار، وتتحدى العواصف والإعصار، مدفوعة بقوة الله وربابنتها المهرة الغيورين وشبابها المتوقد الطموح، باسم الله مجراها ومرساها. ولتنم يا مختارنا قرير العين موفور الكرامة! فلن يطأطئ سوس الرأس بعدك بحول الله، ولن يتضعضع ركن الدين والعروبة بهذا القطر السعيد بحول الله، وملكنا الحسن الثاني الغيور نصره الله بالمرصاد.

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة تأبينية

للأستاذ مولاي محمد الزكي
تارودانت

الحمد لله تعالى مستحقه، وصلاته وسلامه على خير خلقه.

ماذا أقول وشيمتي القصور وقد ندبني من له الرغبة والأمل
نعم أقول كما قال معتذر موافق: «مكره أخاك لا بطل»

يضيق صدري ولا ينطلق لساني. أي لسان ينطق وأي قلم يكتب؟ وأية بلاغة تعبر عن مدى سعة الفراغ الذي تركه بين صفوفنا العالم الراحل الشيخ المختار السوسي، الذي لبى داعي الله، واختاره لجواره مولاه كما قال أبو العتاهية :

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

وقال غيره :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

وعن بعض المفسرين في قوله تعالى : ﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ (الآية) قال أطراف الأرض هم علماؤها. وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنى وشرب الخمر ويقل الرجال

ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد». ومعلوم أن قلة العلم بسبب موت العلماء حسبما صرح به حديث البخاري أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا ينزع منهم العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعا ولكن ينزعه بقبض العلماء فيبقى فأس جهال يستفتون فيفتون فيضلون ويضلون». ولنا أن نتساءل هنا عن من يسد كل هذا الفراغ الواسع المدى أو بعضه، فلا استحالة في شيء من ذلك غير أنه يستبعد أن يجود الزمان البخيل بطبعه بأمثال شيوخ الفقيد الذين ربوا روحه وهذبوا أخلاقه كالأديب الكبير الشيخ الطاهر الأفراني والعلامة المحدث الشيخ المدني بن الحسني الرباطي والحافظ الحجة أبي شعيب الدكالي وشيوخ آخرين، وما اقتصرنا على ذكر هؤلاء منهم ألا نقول : «الشبل في المنبر مثل الأسد».

إذ كان الفقيه رحمه الله ممن جمع بين الفقه والأدب بمعانيهما اللغوية والاصطلاحية. وقد كان الجمع بينهما بهذا الاعتبار نادرا : ذلك بأن فعل الفقه مثلث العين، ولكل لغة من ذلك معنى يخصها ولا نطيل بإيراد تلك المعاني هنا اختصارا؛ إلا أن لغة الكسر أفصح وعليها ورد حديث : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده». ولا ريب أن التفقه في الدين أعم من معاني بقية اللغات وهو الذي يعنيه القائل :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم   فعلم الفقه أشرف باعتزاز
فكم طيب يفوح ولا كمسك   وكم طير يطير ولا كباز

ومن معانيه ما أشار له من قال :

إن الفقيه هو الفقير وإنما   راء الفقير تجمعت أطرافها

وقد سئل الحسن البصري عن مسألة، فأجاب عنها، فقال له السائل : « إن الفقهاء يخالفونك»، فقال الحسن : «ثكلتك أمك! وهل رأيت فقيها بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة الناصح لعامة المسلمين وخاصتهم». وحينئذ، فوصف الأستاذ المغفور له بالفقيه جامع لمعاني الحركات الثلاث كما أن وصفه بالأديب لا يعني فقط الأدب الإصطلاحي المنحصر في عرفهم في البيتين :

نحو وصرف، عروض بعده لغة،   ثم اشتقاق، قريض الشعر، إنشاء
كذا المعاني، بيان الخط، قافية،   تاريخ هذا العلم العرب إحصاء

بل تعداه إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «أدبني ربي فأحسن تأديبي وأمرني بمكارم الأخلاق»؛ فإن معنى هذا الحديث هو المراد بالأدب عند إطلاقه، وإليه الإشارة بقول البوصيري رحمه الله:

أدب عنده تضاعفت الأعــــمال بالترك حبذا الأدباء

ويقول ناظم المباحث الأصلية :

والقوم بالأدب حقا سادوا به استفاد القوم ما استفادوا

والفرق أن الأول مكتسب مطلوب، والثاني ميراثي موهوب، والتخلق المصنوع ليس كالخلق المطبوع كما قال المتنبي:

فإن حلمك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل

وقد أوضح هذا الفرق من قال:

ليس الأديب أخــا الـروا يــة للنــوادر والغــريب

وكـذا :

بـل ذو التفضـل والـمرو ءة والعفاف هــو الأديب

ثم إذا كان عدم الأصل يستلزم عدم الفرع عادة، فلا غرو أن يبخل علينا الدهر الخؤون كعادته بنظير الشيخ المختار في فقهه وأدبه وعبقريته وأخلاقه:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

على أن هذه التصاريف الكونية وإن كانت عادة الله في أرضه، فإنها لا تصرفنا عن الأمل في من يملأ هذا الفراغ من ذوي الهمم العالية من شباب الأصقاع السوسية إذا جدوا واجتهدوا على حد ما قيل :

فالاجتهاد هو السبيل إلى العلا فاعرض أخي عن التكاسل واجتهد

أو ما سمعت عن العلوم بأنها ما نالها قط امرؤ من غير جد

كما أن لأملنا في هذا الصدد أسوة حسنة في قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع : «فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع». قال المهلب فيه: «إنه

يأتي في آخر الزمان من يكون له من الفهم في العلم ما ليس لمن تقدم». وهذه البشارة هي التي لم يستبعدها جمال الدين ابن مالك في خطبة تسهيله، حيث أن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وأن صيغة العموم تصدق على من تقدم ومن تأخر ولا تختص بزمان ولا بمكان إلخ.، نسأله تعالى أن يقيض للعلم ولسوس من يخلف الشيخ المختار، كما نرجوه أن يقدس روح الفقيد في فراديس الجنات. آمين.

كلمة تأبينية

للأستاذ المرابطي محمد
المعهد الإسلامي بتارودانت

سادتي المحترمين، أسرة العلم والدين، حملة لواء المعرفة والعرفان!

إن الذكريات وإن تعددت واستمر الناس على إحيائها خلفا عن سلف، فإن مكانتها واعتبارها وتقديرها في قلوب أفراد المجتمع ونفوسهم تختلف باختلاف ما لأولئك الرجال العظام الذين تقام لهم، من مكانة واعتبار وتقدير في نفوس مجتمعهم. وها نحن اليوم نرى، قياما منا بأبسط واجب علينا نحو فقيد سوس على الخصوص وفقيد المغرب، بل والعالم الإسلامي على العموم، نرى ــ قياما بهذا الواجب ــ أن نستعرض بعض ما علق بالأذهان من حياة هذا الرجل العظيم.

سادتي! إن مجرد إلقاء نظرة نحو حياة العلامة الجليل السيد المختار السوسي قدس الله روحه في أعلى عليين، وجعله من المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، تجعلنا واقفين حيارى أمام شخصية تحوطها من الصفات العلمية والدينية والأخلاقية ما تضيق الأفكار عن حصره وتعجز الأقلام عن تسطيره. ومن منا يستطيع الإحاطة بما لمفخرة عصره وعمدة دهره، محوار أقرانه ومصدر نور زمانه، شيخ الجماعة السيد محمد المختار السوسي من المراحل العلمية تعلما وتعليما، إفادة وآستفادة، جمعا وتأليفا. فهو ــ رحمه الله ــ مكب على التحصيل والاستفادة منذ نعومة أظفاره، منتقل من جليل إلى أجل ومن كامل في العلوم إلى أكمل، وكان فيما أوتيه من المؤهلات الفكرية والتحصيلية والاستنباطية مضرب الأمثال من أقرانه ومحط الأنظار من أهل زمانه.

وهل أنا من تعداد وصفه غير من   يحاول ربط البدر بالأنجم الزهر

فميدان حياة فقيدنا المرحوم متواصل الحلقات لا تأخذ إحداها بإعجابك إلا وسلبتك الأخرى أعجب منها؛ ولا تكاد تتجه بنظرك إلى ميادينه العلمية إلا ووجدت نفسك أمام بحر يتماوج عن درر المعاني وغزر الفوائد تجده مع الفقهاء أفقههم، ومع المحدثين أعلمهم بعلوم الحديث ورجاله ومقاصده، ومع المفسرين أدراهم بأسرار القرآن وناسخه ومنسوخه، محكمه ومتشابهه، يرى دائما كتاب الله صالحا لما مضى ولما سيأتي من القرون إلى منتهى الساعة. وإذا جئته مؤرخا فقد جئت أعظم مصادر التاريخ، وشاعرا فأنت في بحور الشعر تسبح، قديمه وحديثه، فتارة يأخذك إلى موسم عكاظ وتارة إلى دواوين أبي تمام والبحتري ومسلم ابن الوليد وأبي نواس وبشار بن برد والمتنبي، وتارة إلى ابن المعتز وابن الرومي والشريف الرضي وإلى غيرهم من الشعراء الفطاحل. ولا يفوتك أن تجد في فقيدنا المقدس ورع أبي هريرة وتهذيب الحسن البصري للنفوس وتربيتها وإرشادها والتمسك بالكتاب والسنة، آخذا بما كان عليه السلف الصالح. فلا تستهويه خرافات المشعوذين ولا عقائد المضللين ولا أفكار المفتتنين، وهو مع ذلك لا ينكر ما حبا الله به بعض أوليائه وأصفيائه من كرامات يومن بها من فتح الله قلبه لإدراك منبعها ومعرفة مغزاها، وينكرها ــ وهو غير ملوم ــ من لا يكلف نفسه النظر في العلوم الروحية الصوفية. ففقيدنا رحمه الله جمع ما بين القديم والحديث من الأفكار، فكان موقفه منها موقف المعتدل المتبصر الخبير منتقدا ما يصح نقده، وتاركا ما يجب تركه.

أما حياته الاجتماعية، فهو فيها منار يهتدى به، وإمام يقتدى به، ومرآة تريك الشر شرا والخير خيرا. وناهيك أنك إذا اجتمعت به تراه لا يفوته أن يستكشف ما عندك: إما فارس رهان مستعدا للمجاراة العلمية والأدبية، فجاراك في ميادين شتى، آخذا بك في المباحث من سهلها إلى صعبها، ومن قريبها إلى بعيدها؛ وإما قليل البضاعة فيعطيك من جانبه ما يجعلك تعتقد أنك له في ميدانه مشارك، وفي مداركه مقارن، ولا يفوتك أن يسوق لك من غرر نصائحه ودرر فوائده، ما يوقظ به همتك ويحرك به عزيمتك.

وخاتمة القول أنه رحمه الله من الرجال الأفذاذ الذين كرسوا حياتهم لخدمة المجتمع علما وعملا، أدبا وسياسة. ففي عنفوان شبابه، كان مكبا على اغتراف العلوم من معينها الصافي، آخذا لها من رجالها الاعلام، فكانت باكورة دروسه على يد والده

المقدس الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي، رحمه الله، ثم ارتحل إلى بني السباع، ومنهم إلى فاس، ومن فاس إلى مراكش، حيث تصدر للتدريس.

وهناك انتهزها فرصة، ففتح لبني جلدته باب العلم والعرفان؛ فأقام لهم نفسه معلما ومربيا وموجها ومهذبا ومبينا مراسم الحياة ومعالمها، ومعطيا لهم من معينه الصافي ما أزال علتهم وأزاح غشاوتهم، فنبه وحرض وشجع وحمس، ولكل خير لهم التمس.

وطوال مدة تعلمه وتعليمه لا يفوته أن يضرب بسهم نافذ في تكوين المدرسة الوطنية وتوسيعها وتكثير سوادها، فكانت دروسه في التفسير والحديث والتاريخ وسائر مجالسه الخاصة، مليئة بالأفكار الحرة والمبادئ الوطنية، مما أدى لنفيه إلى بلدته «إلغ»، الأمر الذي أتاح له الفرصة لاستنهاض الهمم وإيقاظ العزائم وجمع شتات العلم والعلماء هناك، فأفاد واستفاد، وجمع وألف، ثم لم يلبث أن عاد مرة أخرى إلى مراكش بعد رفع المنع عنه من طرف السلطة الاستعمارية. وكانت خدمته للمبادئ الوطنية هذه المرة أكثر من ذي قبل، مما أدى إلى طرده مرة أخرى من مراكش إلى البيضاء، فوجدها هذه المرة فرصة سانحة لرفع مشعل الوطنية عاليا على الرؤوس، حيث يراه «جوان» و«بونيفاس»، ولكنه هذه المرة لم يلبث أن نفي إلى تنجداد، حيث سجن هو ونخبة من أبناء الشعب الأحرار. فكان لذلك كله ما بعده: من منازلة الشعب الاستعمار، ثم رضوخ الاستعمار لإرادة هذا الشعب المختار، هذه الإرادة التي هي من إرادة الله، هذه الإرادة المنحصرة في رجوع صاحب العرش إلى عرشه، فرجع صاحب العرش والد ملكنا المحبوب الحسن الثاني نصره الله، حاملا معه راية استقلال الشعب المغربي وعزته وكرامته، وهناك طابت النفوس واستراحت القلوب. فكان لابد لفقيدنا المقدس المختار أن يبقى مستمرا في خدمته الوطنية ومساعدا لمحمد الخامس قدس الله روحه على أداء رسالته نحو شعبه الوفي، فكان فقيدنا رحمه الله عضده الأيمن، حتى دعاه ربه لجواره فلبى دعوة ربه، وهنا رأى فقيدنا المختار واجبه ازداد أهمية ومسؤولية نحو خدمة الأسرة العلوية الشريفة، فاختار نفسه مخلصا ومساعدا أو معضدا لصاحب العرش العلوي المجيد صاحب الجلالة مولانا الحسن الثاني دام عزه وعلاه، فكان له خير مساعد حتى وافاه الأجل راضيا مرضيا، فرحمك الله يا فقيد سوس وفقيد المغرب عموما، آمين.

فلسفة السيد المختار في محياه

للسيد أحمد المسعودي
مدير مجموعة مدارس أنزي

سادتي العلماء، إخواني الطلبة، السادة الحاضرون !

تحية مباركة، وبعد؛

إنما يخشى الله من عباده العلماء، العاملون بالرسالة المحمدية الشريفة، الدارسون لها، المقدرون لها حق قدرها، الصابرون على الشدائد، الصابرون في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون، الموفون أجرهم بغير حساب عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، آيات بينات. تلك هي منبع فلسفة شيخي، ومربي وأبي، الشاهد عليَّ في رسالة منه إلى أني منه، وهو مني في السر والظاهر.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامع

سادتي! إني لو حاولت أن ألخص حياة شيخي وأستاذي سيدي محمد المختار، وأحرى أن أطنب وأسهب في سردها، لقضيت الأشهر والسنين، والقلم بين يدي دون أن أصل إلى مبتغاي: أعن سرد سيرته في أهله يمكن أن أحيط، أعن سيرته في معاملة تلامذته، أعن أخلاقه، أعن أدبه، أعن مؤلفاته، أعن شعره، أعن كرمه، أعن تواضعه، أعن دينه، أعن فلسفته في دنياه، أعن مواقفه الوطنية التي شرف بها بلاده وبلدته، أعن كيفية نقده لمجتمعه الذي عاش فيه؟

سادتي، إني لو حاولت أن ألخص حياة شيخي وأستاذي سيدي محمد المختار، وأحرى أن أطنب وأسهب في سردها، لقضيت الأشهر والسنين، والقلم بين يدي دون أن أصل إلى مبتغاي. أعن سرد سيرته في أهله يمكن أن أحيط، أعن سيرته في معاملة تلامذته، أعن أخلاقه، أعن أدبه، أعن مؤلفاته، أعن شعره، أعن كرمه، أعن تواضعه، أعن دينه، أعن فلسفته في دنياه، أعن مواقفه الوطنية التي شرف بها بلاده وبلدته، أعن كيفية نقده لمجتمعه الذي عاش فيه؟

أيها السادة! إن كل فترة مما ذكرت تصلح لأن تكون عنوانا لكتاب ضخم، بل لخزانة ضخمة.

محمد المختار رحمه الله مدرسة، نعم مدرسة دون افتراء، ودون تملق. فهو النموذج الحي إلى الأبد وفلسفته حية إلى الأبد، لما يجب أن يكون عليه الفرد في سلوكه، والمواطن في وطنه، والوطني في وطنيته وبالتالي الفرد في العالم العربي والإسلامي في عصرنا هذا، عصرنا الحاضر، المضطرب الذي لن يكتب له الاستقرار إلا إذا درس فيه الفرد وفهم حياة محمد المختار، وطبقها في أسرته، والراعي في رعيته، والعامل في معمله. وهذه النقطة بالذات، يعني فلسفة المختار في دنياه، هي التي استأثرت بلبي، وأرغمتني على أن آخذ القلم وأكتب، وإن كنت دون من يستحق الكلام والتحدث بقلمه عن المختار في مجمعكم هذا، وفي محفلكم هذا من أجل تأبينكم شيخي هذا.

أيها السادة! إني وإن كنت من الدارسين المتخصصين لحياة المختار وفلسفته في دنياه، فإن الفترة التي قضيتها معه كتلميذ له في مراكش والبيضاء، ومعاشرتي له بقية حياته، سمحت لي أن أعرف عنه الشيء الكثير، وأتعلم منه الشيء الكثير أيضا، فهو رحمه الله شيخي بعلمه، شيخي بمائدته، شديد الإيمان بربه الإيمان الصحيح، والديانة الصافية الطاهرة، فلا تراه يتقرب حتى من الشبهات، وأحرى الوقوع في المحرمات وكيف لا وهو الذي لا يفارق هذا الحديث ثغره سواء عند المناسبة أو غيرها «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات، فمن اتقى الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فقد استبرأ لدينه وعرضه» إلى آخر الحديث. وأعز ما ينشد هو بيتان لابن جزي:

وكم من صفحة كالشمس تبدو فيسبي حسنها قلب الحزين
غضضت الطرف عن نظري إليها محافظة على عرضي وديني

وللدليل على حب المختار لربه، وفلسفته في ربه، أورد هذه الواقعة ليكون كل سامع على بينة مما أقول:

«كنت مع زمرة من أترابي التلاميذ في مسجد السبتيين بالبيضاء، نأخذ عنه دروسا في الأدب كعادته كل صباح يوم أربعاء، وكان الجامع فارغا إلا منا ومنه رحمه الله، كما كان من المقرر أن نفترق عشية ذلك اليوم بمناسبة عيد لا أتذكره، فانشرح معنا في أريحية أدبية لم نشهد منه مثلها من قبل قط، فضحكنا وضحك ما شاء الله، ثم سكت السيد المختار فجأة وساد صمت غريب، ثم قال: اعلموا يا أبنائي أني راض عنكم، واعلموا أني عندما كنت أقضي مناسك حجي تعلقت بأستار الكعبة، وتضرعت إلى الله أن ينفع كل تلميذ بكل حرف علمته إياه، فقلنا بلسان واحد : «آمين»، ثم قال : «فماذا تطلبون أنتم من الله لي؟»، فقلنا ما تطلبه منه عز وجل ندعوه بالاستجابة فسكت قليلا وسكتنا، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وقال: رضى الله الأكبر، وصار يردد هذه الجملة حتى احمر وجهه وحالت الدموع الغزيرة بينه وبين ترديدها، ثم قال : «انصرفوا!»، فامتثلنا وتركناه، ثم قام وقال: هذه نفحة من النفحات الالـٰهية ينبغي للمومن أن يغتنمها.

وأخرى أوردها ليعلم السامع الكريم أن المختار لا يتصرف في حياته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا إلا في حدود ما هو موافق للدين والإيمان الصحيح، أقول، في الآونة الأخيرة من حياته زرته رحمه الله، فرحب بي وأمرني بالجلوس، ثم أمرني بالاقتراب منه كعادته ففعلت، فدارت أحاديث وأحاديث، فوصل بنا الحديث إلى نقد المجتمع المغربي والخطر الذي يهدده من تفكك أخلاقه، فكان يمزج نقده بنكاته المألوفة، فقلت ما قلته، إن حزب كذا له مواقف مشرفة قديما وحديثا في دور إصلاح المجتمع المغربي، وقد زادني إعجابا به أنك نجمه اللامع، ودرته اللألاء، فقال: إنكم أنتم تعدون ذلك فخرا لكم، قلت: نعم، قال: وزيادة على ذلك قبل وبعد، أنا من حزب الله، وأتبعه، ألا أن حزب الله هم المفلحون، فقلت : إنني قرأت ما قرأت في الجزء الثالث من الإلغيات ص.206 فضحك ضحكة الراضي المعجب بما سمع، ثم قال: ولكن فاتك أن تقرأ الصفحة من أولها إلى آخرها وقبلها وبعدها وكتبي كلها لتعرف المختار. ولما راجعت، وجدت ما قاله رحمه الله هو الصحيح.

وإن المختار حقا يتصرف تصرف المؤمن بربه، وإن تعاليم القرآن هي دستوره في الحياة في سياسته ونقده لمجتمعه، وإن الإعوجاج يقومه سواء فيه أو في غيره، وانه لا

يمكن الإصلاح والصلاح إلا عن طريق الدين وتعاليم القرآن. وقد شهد على نفسه أنه بعد دراسة وافية لها، أي لنفسه، استنتج أنه لا يصلح للعمل في الميادين الصاخبة، والظهور أمام الناس بمظهره الغير الحقيقي، والتبدل من حال إلى حال، والتلون مع الزمان، وجعل نفسه في مهب الرياح والأهواء. ولذلك قرر أنه لا يصلح للعمل إلا في بيئة علمية وحدها، قال في الجزء الثالث من **الإلغيات**، ص 125 : «ففيها، أي في البيئة العلمية، أقدر أن أؤدي لأمتي العمل المفروض علي، وأن أقوم بكل ما يقوم به الرجال من مدافعة ومهاجمة ومداراة ونفاق واستعطاف وإرغام، أما في بيئة أخرى فقد حرمت من الصفات التي تتطلبها، ومن التلونات التي لا نجاح للعامل إلا بها».

وهو رحمه الله حينما تجالسه يحاول أن يحملك على التحلي باتباع هذه الفلسفة، فلسفة دماثة الأخلاق والتواضع وخدمة العلم ونبذ التلون واتباع الأهواء والثبات على المبادئ، فمن باب الفرد يجب أن يتوصل إلى المجتمع، أو على الأصح، فلسفة التوصل عن طريق الجزء إلى الكل، وهو بوده لو استطاع عن هذه الطريق أن يصلح المجتمع كله، وبهذا نتوصل إلى أنه لا يمكن في نظره إصلاح المجتمع سواء في المغرب أو في المشرق، إلا إذا آمن برسالة محمد، واتبع رسالة محمد، وتخلق بأخلاق القرآن، ونبذ التشيع والتحزب.

يقول في الجزء الرابع من **خلال جزولة** (ص 70) : «اللهم آشهد أنني لا أتعصب لمسلم على مسلم آخر ولا لطريقة على أخرى، إلا لطريقة السنة». و :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

هذا جزء من ألف جزء من حياة المرحوم السيد محمد المختار السوسي وفلسفته في دنياه، نقاوة وطهرا، والدعاء إلى إصلاح المجتمع عن طريق الجزء، رحمه الله وقدس روحه في أعلى عليين، وأسكنه فسيح جناته آمين، ومتعه يا رب برضاك الذي كان يتضرع إليك، ليناله منك. والسلام عليك وعلينا وعلى عباد الله الصالحين، وأشهد أن الله وحده ومحمدا رسوله صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

حنانيك يا سوس على ما فقدته

للسيد أيت علي علي
المعهد الإسلامي بتارودانت

﴿كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم، وإليه ترجعون﴾. صدق الرب الأعظم. كل شيء هالك حقا، وكل كائن لا محالة إلى الزوال صائر، والأمور مرهونة بآجالها.

في الثلاثين من جمادى الأخيرة 1383 انتقل إلى الرفيق الأعلى والدنا العطوف، وفقيدنا الحنون، الأديب الكبير والعلامة سيدي محمد المختار السوسي، الوزير المستشار لصاحب الجلالة، مولانا الحسن الثاني، وعضو من أعضاء رابطة العلماء، في سن دون السبعين، فاندهشنا لهذا النبإ الأليم، وصدمنا صدمة بهذا المصاب الجلل الذي لم نشعر في حياتنا قط بأعنف منه هولا، ولا بأشد منه إيلاما ؟ وما كنا لنقوى على احتماله لولا بقية العزاء والسلوان. ونحن اليوم إذ نندب حظنا في هذا الأديب، فإنما نندب فيه ذلك العالم البار الذي يشعر بشعور أمته ووطنه، وذلك المفكر الذي لا تأخذه في الصدع بالحق والجهر بالعدل لومة لائم، مما جعل ملايين القلوب في الأقطار العربية والإسلامية تشاطرنا المصاب، وتبادلنا العزاء. فطوبى لك يا محمد بهذا الوسط الذي تشغله في كل قلب، وهنيئا لك بهذه المكانة التي نزلتها في كل نفس؛ فارقد في ضريحك مطمئن النفس، قرير العين، مرتاح الضمير.

لقد ضحيت يا محمد بكل غال ونفيس، وأفنيت زهرة شبابك وشيخوختك من أجل البناء والتشييد، وتوفير أسباب السعادة والرقي لأمتك العربية المسلمة، ووطنك

العربي المسلم، تحدوك في ذلك العناية الإلـٰهية والعون الرباني، فكنت خير من لبى نداء الواجب، واستجاب لداعي الإخلاص. إن موتك يا محمد قد أنطق الألسن، وحرك الأقلام، وأطلق الأفكار، للتعبير عن جلائل أعمالك، والتنويه بفضائل أخلاقك المثلى، ولم يدفعهم لذلك إلا دوافع شريفة، وعواطف نبيلة، ورغبتهم في الوفاء لشخصكم الكريم.

ساداتي الفضلاء! إذا كنا نبكي اليوم الفقيد الجليل سيدي محمد المختار السوسي، ونذرف عليه الدمعة السخينة، فما أحق لغة الضاد بالبكاء، وما أخلق عالم الأدب بالعزاء! وكيف لا، وقد فقدنا في شخصه جميعا الركن الأساسي الذي قام عليه كياننا، والساهر على رعاية مصالحنا، وإعداد حياة كريمة وعيش أفضل في مجتمع أمثل؟

حنانيك يا سوس العزيزة على ما فقدته من عزة ومنعة بفقدان ابنك محمد، وتأسيا لكم يا أشبالها الأعزاء على ما يتمنا به الدهر، وافجعنا به القدر، «إنا لله وإنا إليه راجعون».

سادتي الكرام! إنه ــ وحق رب العزة ــ لأمانة علينا جميعا اقتفاء أثر تلك الشخصية في الاستقامة والعمل، في التمسك بأهداب الدين الحنيف، في التحلي بأخلاق القرآن الكريم. وإنه لواجبنا جميعا، نحن أبناء هذا الربع السوسي خاصة، وأبناء العروبة والإسلام عامة، أن نتسلح بسلاح فقيدنا للمضي في البناء والإنتاج برباطة الجأش وقوة العزيمة وإيمان قوي بالله، وبالواجب المقدس الذي وضع فقيدنا معالمه، وأبان منه الأهداف والغايات. وبذلك نكون من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وخير خلف لخير سلف.

ولقد كان من أمانيه الغالية ــ رحمه الله ــ أن يرى بهذه المؤسسة مصنعا للرجال الأكفاء، المقدرين لمسؤولياتهم، القادرين على القيام بمهامهم في مدرسة الحياة، وفي محيط هذا الركب الحضاري الزاحف، العاملين على صيانة الروح الإسلامية، وبث تعاليمه القيمة، والذود عن حياض الشرف والفضيلة، وكان يردد على مسامعنا في كل مناسبة : «اعتبروا دوما يا أبنائي بقول الله تعالى : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾»، وأحياه الله حتى رأى بواكر تلك الأمنية تتحقق، ونتائج تلك المساعي تعطى بسخاء.

حضرات السادة! إذا كنا نحتفل اليوم بذكرى مرور أربعة أشهر على وفاة فقيدنا العلامة سيدي محمد المختار السوسي، وإذا كانت هذه الذكرى ذكرى من فاجأه الرزء فشغله، وحل بأرضه القضاء فأذهله، فحسبنا من التعزية، وكفانا من البكاء. هيا بنا إلى العمل جميعا، وفق ما خططه الفقيد، وضمن ما وضعه من الأعمال، لنقيم البرهان للعالم أجمع على أن سوس العالمة ستبقى كذلك، ماكر الجديدان، لأن لها من حرارة أبنائها، وحماسة أنجالها، وقوة أسودها، ما يبوؤها قمة الخلود، في الركب الحضاري والثقافي والتقدمي شأن الأسلاف والأجداد.

وأخيرا، إليك يا محمد المختار ألف تحية خالصة من قلوب ملايين المغاربة، وعليك منا سلام الله ورحمته.

﴿وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم، تحيتهم فيها سلام﴾.

الله أكبر والبقاء لله.

آهات على فقيد الأمة العلامة محمد المختار السوسي

للسيد اجبابدي محمد
المعهد الأساسي بأيت باها

إنه لحدث أخرس الألسن، وجمد القرائح، وأعطش الأقلام وأعجزها، تضاربت التعبيرات في وصفه، وذهل الفكر عن تنسيقها وإجادتها. كيف لا، وقد فوجئنا في أصعب الظروف وأحرجها بهدم أقوى دعامة يعتمد عليها؟ فإن أنس، لا أنسى تلكم اللحظات البغيضة التي أعلن فيها عن وفاة هذا الرجل العظيم. فكم شخص أذهله ذلك النعي المباغت، وهو بجانب مائدته يتغذى، فبقي هامدا شاخصا ببصره، عاجزا حتى عن بلع لقمته. لماذا اندهش، أتراه اندهش لذكر الموت؟ لا، إن الموت أمر عادي ملازم للأحياء؛ اندهش لأنه لم يفقد شخصا عاديا وكفى، اندهش لجلالة المصاب وخطورته (والرزء يعظم فيمن قدره عظما). آه على فقدان تلكم المجادة والسيادة في غزارة علم، ونباهة شأن، وتواضع ولطافة، إلى غيرها من الخصال الحميدة التي عجز الكتاب والأدباء عن تعدادها والتنويه بها، وكفى بالعجز عنها ترجمة وتنويها، ويطيب لي أن أنشد مطلع المرثية التي رثى بها فقيدنا شيخه العلامة شعيبا الدكالي، وهو :

بأي لسان يا شعيب تترجم   فعمرو بن بحر عند وصفك يبكم

على أني سأقول: «يا فقيد»، عوض «يا شعيب».

آه على انطفاء ذلك السراج الوهاج، الذي يقتبس من نوره القاصي والداني، ويستنير به الحيران الضال في مجاهل الجهل، فيهتدي به، ونعم الهادي. فإلى من يرجع

ذلك المتحير، إذا أدلهمت عليه المشاكل والتبست، فيحلها برأي مسدد لا يطيش؟ وعلى من يشكو أولئك المهضومون والمضطهدون فيؤازرهم وينصفهم؟

آه على فقدان شخصية فقدت في تلك الميادين ــ وما أكثرها ــ التي فقد بطلا من أبطالها البارزين. ففي أي ميدان محمود نعدم العلامة المختار السوسي ؟ فإذا استعرضنا ميدان الوطنية الصادقة إبان الحماية، فسنجده وطنيا غيورا، ينعى على شعبه الجهول المستعمر حياته الضنكة، وأعلنها حربا شعواء بلسانه وقلمه ضد الاستعمار، فذاق ــ ككل وطني حر ــ أنواع العذاب والسجون، فلم تفتر همته وغيرته الوطنية عن أعداء الاستقلال، فإذا بالعلامة المختار السوسي عين وزيرا في أول حكومة وطنية استقلالية، ولا زال معتزا بوزارته عاملا بكل إخلاص في أداء مهمته، ثابتا ثبوت السياسي المحنك، لم يحد عن مبادئه النزيهة، ولا تزعزعه التيارات الجارفة مهما اختلفت اتجاهاتها إلى أن لبى داعي ربه محمودا مشكورا. أما في ميادين التعليم والثقافة والتوجيه، فحدث عن البحر ولا حرج.

وما هذا المعهد السوسي الذي يؤدي اليوم مهمة جليلة إلا بعض آثاره، بل وما جمعية علماء سوس التي أنقذ الله بها هذا القطر السوسي إلا حسنة من حسناته رحمه الله، فلم يمت ــ إذا ــ من خلف وراءه مئات العلماء منبثين في المغرب يعملون لصالح وطنهم في مختلف الميادين، ويسهرون على تربية أبناء الشعب تربية إسلامية حية، ولم يمت من صنف مجلدات قيمة مختلفة. إنك حي بآثارك وبالذكر الجميل الذي خلفته.

فهنيئا لك أيها المختار، ولتسعد في دار الخلد، ولتنعم مع الذين أنعم الله عليهم.

ودّع اليراع عهد النبُوغ وصوْغ آيات العبر

للسيد السوسالي الحسين
المعهد الإسلامي بتارودانت

أيها السادة الأفاضل!

إن سال عن غرب العيون بحور   فالدهر باغ والزمان غدور

﴿والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

جمعُ السلامةِ معدومُ الوجودِ بها   فكم بها للرَّدى من جمْع تكسيرِ

هكذا اختطف ريب المنون أعلى شيء لدينا، وأعز من نعرفه ممن أوتوا رشدا، وتوفيقا. امتدت أيادي القضاء والقدر إلى النوارة فجارت عليها باليبس والدبول، بعد أن ملأت معاطس الدهر طيبا وتعطيرا.

إن أشأم الأيام وأشدها حلكة وسوادا لهو ذلك اليوم الذي تلقت فيه مسامعنا نبأ فاصمها، وقلوبنا مصابا فأنهكها وأضناها.

تلقينا بمزيد الأسى والأسف، وبأشد ما يتصور من الألم البليغ والحزن المرير نبأ انتقال من كان للتقوى محاميا ماهرا، العلامة سيدنا محمد المختار السوسي إلى جوار الرحمٰن.

ومنذ ذلك الوقت، ثلمت منه الأمة ثلمة، وودع اليراع بسلام عهد النبوغ وصوغ آيات العبر.

حقا إن المصاب جليل وعظيم سيبقى مفعوله في النفوس ما تعاقب الليل والنهار وكرّ الجديدان.

سادتي! من ذا الذي لا يعترف بمآثر الفقيد وبمواقفه إزاء بلادنا، لقد كرس أكثر ما يمكن من الجهود لإحيائها ونهضتها، كما بذل ما فوق الطاقة لانبعاثها ونموها وتقدمها، وما مؤلفاته الفاخرة ومجلداته القيمة إلا برهان ناطق وحجة ناصعة على ذلك.

لقد كانت سوسنا العالمة محجوبة معالمها بستار من النسيان مدة كاد فيها مجدها أن يصبح نسيا منسيا لولا أن قيض الله لها منقذها الذي أحياها وأخرجها للوجود جديدة باسمة، بدأت تنطلق سائرة لتخبر العالم أجمع بعهد ماضينا المشرق، وعصر أجدادنا الزاهر، فكانت تلك رسالة حررها ثم بلغها فأصبحت عند الأنام له اذكارا توحي إليهم بروحه القدسية الطاهرة، ليتنعموا بها ويتضرعوا لها لتعلو وتزكو، وتلك صدقة جارية تجعل أعماله مستمرة وباقية لا تنقطع. إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية.

وتركك في الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وعلى أي حال فإن المغفور له معروف في المواقف الحرجة والمشاكل الصعبة التي يقتحمها ويحلها بإيمان راسخ وعزيمة قوية لا تفل، واجتهاد بارز مثمر.

فكأنني ما كنت ذا السن إذا حمي الوطيس، وجالت الأنجاد

فعن وطنيته الخالصة، كموقف واحد فقط ــ وأصعب به من موقف! ــ نفي مرتين، إلى إلغ مسقط رأسه، وإلى أغبالو نكردوس للمرة الثانية، وهو في منفاه يعبر عن عاطفته الثائرة ونفسه الهائجة قوة وصلابة.

أبعد ما طاف حول العرش طائفهم مضى، أيفضي عن العدوان من بودي؟
فهل يمسون فوق العرش مهجعا ونستكين، أكنا من جلاميد ؟
لا، لا هوادة إن الحرب قد نشبت ما بيننا فليصل وليود من يودي

هذه هي الروابط المتينة والأواصر القوية التي تجعل آسم روح فقيد الفضيلة مخلدا في شعورنا وإحساساتنا، وتلك هي أعماله كقطرة من بحر. وعلينا نحن إتمام ما وضع أسسه، وتبليغ الأمانة التي أناطها بنا، لنرضي نفسه المطمئنة العزيزة.

﴿يا أيتها النفس المطمئنة آرجعي إلى ربك راضية مرضية، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾. صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة تأبينية

للسيد نعيم محمد بن بلقاسم
الرباط

سادتي! إخواني الأعزاء! لقد مرت أربعة أشهر على وفاة علم من أعلام الأدب، المغفور له سيدي محمد المختار السوسي، هذه الشخصية الفذة، هذا العالم الجليل الذي صدق ما عاهد الله عليه. أجل! لقد كان، طيب الله ثراه، ذا عقل راجح ورأي صائب مدبر مفكر، مدركا للغة العربية وأسرارها ومعانيها لما اتصف به من خصوبة الفكر وجودة الألفاظ وطهارة المعاني وحجة القول، وتلك مزايا تدل على أنه ــ رحمه الله ــ كان يسخر اللغة العربية لتفكيره كلما أراد ذلك.

نعم! لقد كان سيدي المختار السوسي رحمه الله عالما بكل معنى الكلمة مشاركا في جميع الميادين سواء منها العلمية والسياسية والأدبية. ومن منا ينكر الأعمال التي قام بها لنشر الوعي القومي وللنهوض بهمم أبناء وطنه إبان الأزمة السياسية المغربية حيث نفي من أجل هذه الأعمال الوطنية الجليلة البناء التي كان يومن بها إيمانه بالمبادئ الأساسية المتأصلة فيه والتي ظل وفيا لها إلى أن اغتصبته يد المنون. وقد كان رحمه الله يمتاز إلى جانب الرزانة والهدوء بحجة القول، حيث انه كلما خاض في بحث إلا وأتى بحجج داحضة وأمثلة محسوسة تؤيد بحثه. وقد ألف عدة كتب من بينها **سوس العالمة والمعسول** المجزأة إلى 20 جزءا التي لولاها لبقينا نجهل الشيء الكثير عن علماء الأصقاع السوسية، هؤلاء العلماء الذين كانوا في زوايا النسيان. حقا إن سيدي محمد المختار السوسي لمن أولئك الرجال العظام الذين لا يجود بهم الدهر إلا قليلا. ويكفي ما شاهدنا فيه طول حياته رحمه الله من أنه ينكب انكبابا على المطالعة

في الكتب المتنوعة بدون ملل ولا فتور، ومن محافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة مهما كانت الظروف والتكاليف والأحوال.

إن سيدي المختار قد مات، وقد كفل الثناء له بعمر ثان.

وأما نحن الآن ـ أيها الإخوة الكرام ! ـ لا يسعنا إلا أن نرفع جميعا أكف الضراعة مبتهلين إلى الله تعالى أن يمطر عليه شآبيب رحمته ويسكنه فسيح جناته ويبوئه مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قَصَائِدُ فِي رِثَاءِ الْفَقِيدِ

عجبا تموت وقد بعثت جدودنا

للأستاذ العتيق محمد
المعهد الإسلامي بسيدي بيبي

عماه أنت تصيخ لي فأنادي — وأبث ما أوليتني ببعاد ؟
أم حال دون سماع ما أشكو الذي — بيني وبينك من ربى ووهاد ؟
عماه إن كانت تماضر قد سلت — عن صخرها بتطاول الآماد
فأنا ـ وحقك ـ لا تمر ثنية — إلا وأشجاني بلا تعداد
عماه كيف تركتنا يا طالما — أسقيت صرفا باردا للصاد ؟
أسئمت أعباء الحياة بذي الدُّنى ؟ — تبا لها من موطن الأنكاد
عماه سر للخلد تنعم بالذي — قدمتـــه من صالح الأزواد
فهناك ربك ـ لا محالة ـ منعم — متـــفضل بجواره المرتــــاد
عجبا تموت وقد بعثت جدودنا — بكتابك «المعسول» بعد جهاد
قل لي بربك كيف يرمس في الثرى — علم إلى كل الفضائل هادي ؟
يا أيها المختار يا برا ببلـــدته فصاح بفضلها في الوادي
إلغ قضيت لها حقوقا جمة — فسمت بمعطسها على الأنداد
وحكت بما أوليتها من رفعة — بلد الأديب الأريحي ابن عباد[1]
بكتابك «المعسول» تعرف إلغنا — ورجـــالها بالعلـــم والإرشاد
والإلغيات بجيـد إلـــغ درة — يزهو برونقها على الأجياد

---

(1) بتخفيف الباء للضرورة.

أدباء إلغ بل وسوس كلها أين الجزاء لأكرم الأجواد ؟
أين الجزاء لمن أشاع مديحكم وأبانه نورا على الأطواد ؟
فوا بالعهود له وسيروا نهجه واقفوه في الإصدار والإيراد

* * *

عماه قد علمتني ونصحتني وجعلتني ولدا من الأولاد
ورضيت عني بعد ذلك كله بشراي، هذا مصدر الأسعاد
ونصحت غيري، شأن كل مجدد فسما الجميع ونال خير مراد
أو لست أنت من الألى قد خاطروا بنفوسهم لتسود بنت الضاد ؟
عماه ثم فدعاء من علمتهم يأتيك متصلا مدى الآباد
ثم فالأديب الزاهد «البزكرني» في قرب إليك، سقيتما بعهاد
حكمت بجمعكما إرادة ربنا في ذي وتلك، لصحبة ووداد

* * *

«باب العلو» جمعت خيرا كله لما خصصت بمدفن الأسياد
كم قد ضممت من الفضائل والمنى بمحمد المختار للقصاد
إن لم تكن إلغ تفوز بقبره فكفاها، إن كانت أعز بلاد

* * *

عماه ها أنذا أقر بفضلكم وأذيعه جهرا على الأشهاد
فاضت عليك عواطفي يا ليت لي فيما أريد، فصاحة الأيادي
إن مت يا مختار أو ستر الثرى وجها بشوشا مشرقا بالنادي
فلقد حييت مدى الزمان وذكركم حلوى اللسان لحاضر أو بادي

في كل بيت مأتم

للأستاذ أحمد الواثق
رئيس المكتب التربوي بنيابة أكادير

رزء عظيم زلـزل الأقطـــارا ... هد القلوب أسى فأضرم نـارا
فاغبرت الآفاق من جرائـه ... واحلولكت أجواؤهـــن نهـارا
عم البلاد مشارقا ومغاربـا ... قلـق عظيم بلبـل الأفكـارا
فتمـزقت لنزولـه أحشـاؤنـــا ... وتقطـعت أكبادنـا أشطـــارا
واهتزت الدنيا فرجت أرضهـا ... من وقعه، أفلا نكون حيارى ؟
ذهل الأنام واجفلوا لمصابنـا ... فكأنهم سكروا وليسوا سكـارى
ومصابنا جلل فكيف يلام مـن ... شقوا لصعقة وقعه أستـارا
إن أنس لا أنسى ذهول القـوم إذ ... نعت الإذاعة للورى المختارا
ذهلوا لهول مصيبة نزلت بهـم ... من هولها تتخطف الأبصـارا
في كل بيت مأتم من وقعهـا ... وبكل صدر أسنة تتبـارى
غاب الأديب عن النواظر فاكتست ... كل العـوالم حلكـة وغبـارا
آه! وما تجدي الفتى آهاتـه ... لما غدا علم البلاد يـوارى
علم له في جيد كل مواطـن ... دين فلن يقضى بكى ونضـارا
علم له في المكرمات مكانـة ... جعلتـه حقـا قبلـة ومنـارا
علـم له وطنيـــة جبـــارة ... وبطولـة تسترخص الأعمـارا
ومواقف الحمراء تشهد أنـه ... لا يرتضي إلا الجلاء شعـارا

* * *

أعلى منار العلم في أوطانه لم تستلذ لنفسه استقرارا
أفنى سحابة عمره في بعث ما يكسو البلاد جلالة وفخارا
إن المعالي لا تنال براحة وينالها من يركب الأخطارا
فاسأل مراكش عن مجالس وعظه ولتسألن الأطلس الجبارا
ولتسألنْ فاسا ومسقط رأسه الغا تخبرك اليقين جهارا
ولتسأل البيضاء عن آلائه الـ بيضاء أعلت رأسها استكبارا

* * *

كم نعمة أسديتها للضاد وال علم الشريف فكم فككت اسارا
كم منة طوقتها جيد العلا كم خضت بحرا هائجا زخارا
ولتسأل الخضراء لما زارها في بعثة تتعهد الأحرارا
يا شرق هل ما زلت تذكر موقفا من عبقري حطم الأسوارا
حمل الرسالة من هزبر طائر ضد العدو فهزت الأمصارا
وابن السعود الشهم بارك خطوه لما تصدر وفدنا المغوارا

* * *

يا راحلا ان المنايا منهل كل البرية نحوه تتجارى
يا غائبا عنا بطلعة وجهه إنا نناجي روحك المعطارا
سيف المنية مصلت من غمده يستوعب الأبرار والأخيارا
عِزْريل كيف أبحت ساحة سيد غضباته تستغضب الجبارا ؟
أيموت مختار ونبقى بعده ؟ كلا وحقك لن نُرى كفارا
لسنا نوفّي للفقيد حقوقه ولو أننا متنا أسى وتبارا
كيف السلو، وفي الحشاشة زفرة حرى ؟ وتبغي بعد ذاك الثارا
يا خالدا في الخالدين تخيرن بين الجنان، ألم تكن مختارا ؟
نم في رُبى جنات عدن، إنما تلقى هناك المصطفى المختارا

ذكرى العظام

للأستاذ أحمد زكرياء
المعهد الإسلامي بتارودانت

كذا فلتكن ذكرى العظام وما أحرى ... بها أن تدوم اليوم والغد والدهرا
وأجدر بها ذكرى تفوق لما حوت ... من العلماء الذكريات التي تترى
لقد جمعت كل الذين دعاهم ... نداء الضمير الحي أكرم بهم صدرا
ألا فاسمحوا لي أن أطأطئ هامتي ... لأشكرهم والله يشكرهم شكرا
أبى الله إلا أن نؤبن راحلا ... يحق علينا أن نقيم له ذكرا
نعم إنه المختار من طار صيته ... وزاحم في العلياء كويان والنسرا
فتبا لهذا الدهر إن كان كلما ... أراد اختلاس النجم يختلس البدرا
ولما قضى المختار قلت تأسفا ... فيا حسرتا لقد فقدنا أبا برا
ولم نستطع رد القضاء ودفعه ... ولكننا نحني الرؤوس له قسرا
بكينا عليه بالقصيد لعله ... كعهدي به يهتز إن سمع الشعرا
ولكنه ـ والله يعلم ـ مقبل ... على عالم أنساه عالمنا الوعرا
جنان، وحور، واجتماع أحبة ... وعطف من الرحمان يشملهم طرا
فلا حاسد بها ولا ناعق ولا ... معاكسة الأقدار واحبذا الأخرى
لقد كان هذا الخطب خطبا مؤثرا ... على كل نفس لا تطيق له صبرا
وأنت نفوس لا تنوء بحمل ما ... ألم بها من فقدها ذلك البحرا
وهيهات أن تنسى النفوس محمدا ... له في سواد القلب منزلة كبرى
لقد فاق أهل العصر حزما وهمة ... ففي ليله يدعو وفي يومه يقرا

ألا أيها الجمع المؤبن لا تلم   نفوسا ترى المختار درته البكرا
نقول لمن يبدي التجاهل للذي   نؤبنه يكفيك أن تحضر الذكرى
أما تعرف المختار مذ كان يافعا   وكهلا وشيخا ثم من بعدها ذكرا
سل إلغا وسل فاسا وسل مكة سل   رباطا وسل تطوان إن شئت والحمرا
وإن شئت سل عنه المروءة إنها   رأت رجلا أهدى الحياة لها مهرا
وإن شئت أن تزداد علما فهذه   ردانتنا تعطيك سيرته الغرا
وإن شئت أن يرتاح بالك فاقرأن   تأليفه الملآى فإن بها خبرا
وشنف بها أسماعنا فلنا بها   عزاء يكف الدمع من أعين عبرى
وما المترعات في الكؤوس سوى التي   سقانا بها كأسا فأثملنا سكرا
وفي الإلغيات ما يبشر بالذي   لـ«معسولـ»ـه الوضاح من سمعة أخرى
كذا همة الأحرار تدني إليهم   شموس العلا حتى تعانقهم قهرا
إذا كان هذا اليوم يوم رثائه   فكم مثله يتلو الأحاديث والذكرا
فما ينفع البكاء عليه ولا الأسى   ولكننا نطفى به في الحشا جمرا
فصبرا بني المختار صبرا فإنه   أبونا جميعا وليكن صبرنا أجرا
وإن غاب عنا شخصه فخياله   مقيم فما ينفك يقتعد الصدرا
وما مات حقا من بكته بلاده   بالسنة فصحى وأفئدة حرى
وأصبح في فم الزمان لأنه   عجيبة هذا العصر يستقصر الفكرا
وما عجبي إلا لقبر يضمه   وكيف استطاع القبر أن يسع البحرا

* * *

وبعد، فها شعري أقدمه له   وأسترحم الرحمن أن يلهم الصبرا
عليه سلام الله ما قال منشد   كذا فلتكن ذكرى العظام وما أحرى

فقد الأبي العالم المختار

للسيد يحجب بن خطري
قاض بغرفة الاستيناف الشرعي بالمحكمة
الإقليمية بأكادير

الحمد لله القائل : ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

أيها الإخوان ! لا يخفى عليكم ولا على أي أحد أن موت العلماء ثلمة في الدين، وإن الأستاذ الجليل الذي اجتمعنا اليوم من أجل مرور أربعة أشهر على وفاته، عالم من علماء المسلمين المجدين المجددين الذين عم نفعهم الحسي والمعنوي الأبعدين كالأقربين ألا وهو العالم العلامة سيدي الحاج محمد المختار السوسي علما ونسبا ابن الولي الصالح السيد الحاج علي الدرقاوي طريقة، فكم من أحد وصل بها على يديه إلى حضرة الحق المبين، تغمدهما الله برحمته وجعلهما في أعلى عليين والدينا وسائر المسلمين في جوار سيد المرسلين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

ولهذا ورعيا مني لجانب الأخوة والعلم والأدب والدين بلسان عائلتي آل الشريف الشيخ سيدي ماء العينين وسائر العلماء والأدباء والشعراء حاضرين وغائبين سوسيين أو صحراويين، أقول :

فقد الأبي العالم المختار ... فالدمع من تذكاره مدرار
فقد الأبي الحر في أفكاره ... والناس في أفكارها أحرار
هو البعيد الشاو عن أنظاره ... فتقاصرت عن شاوه الأنظار

هذا وليس من الغريب إذا عرا ... بدرا تكامــل نوره الإسرار
كم بيضت يمناه صفحة دفتر ... من علمه فكأنها أزهــار
صار الوزير وكلنا متأسف ... بجوار مولاه ونعـــم الجار
إن كان غاب عن النواضر شخصه ... وكفى به ما غابت الآثار
إن يطو صرف الدهر صفحة وجهه ... لم يطو منه العلم والأشعار
لم يطو منه كل فعل حسنه ... تجلى به الأفكار والأبصار
ندب تضلع من معين علومه ... من هو ذاك ؟ فذاكم المختار
ذاك الذي ترى التآليف التي ... معسولها تزهو به السمار
ذاك الذي يرعى ذمام ذوي التقى ... ولهكذا الأخبار والأحرار
سل عنه تاج الملك فهو وزيره ... عن غيره في دهره المختار
سل ما يحوك من القريض منمقا ... فكأنه من حسنه تقصار
يا أهل سوس أهلنا أحبابنا ... صبرا عليه فما بذاكم عار
صبرا عليه فأين والده الذي ... آثاره الأوراد والأذكار
صبرا عليه فأين والده الذي ... يمشي على ما سنه المختار
صبرا عليه فأين والده الذي ... لم تعز عن ذكراه تلك الدار
صبرا عليه فإن من أفعاله ... ترضي الإله لربه يختار
صبرا عليه فإننا من بعده ... نبقى إلى ما شاءت الأقدار
مولاي من على الفقيد برحمة ... تمحى بها الآثام والأوزار
واجعل ذويه مدى المدى في منزل ... تقضى به الحاجات والأوطار
رحماك رب فكن لنا كلا هنا ... وهناك أنت الراحم الغفار
أنت الذي يمحو الذنوب إذا يشاء ... عمن يشاء بفضله الستار
فاغفر لنا واح الذنوب بأسرها ... بالفضل حتى لا ترانا النار
بالهاشمي محمد خير الورى ... من آله وصحابه أبرار
صلى عليه الهنا وعليهم ... وعلى الذين هم له أنصار
ما دامت الأمطار تهمي في الورى ... وبمائها تتدفق الأنهار
وتقام ذكرى للأحبة بعدما ... ذهبوا وهذا رائع تذكار
قامت به علماء سوس، كيف لا ... وفقيدنا العلامة المختار

يا سوس ما أفظع الخطب الأليم

للسيد محمد بن الحسن اليعقوبي
تاليوين

إن الحياة وإن طالت لصاحبها ... لابد يوما لدار الخلد ينتقل
تقلب المرء في أطوار عيشته ... يدني المنون له حيث انتهى الأجل
هذا هو العالم المختار قد نزلت ... به المنون وحل الحادث الجلل
شمس المعارف في الآفاق قد حجبت ... غداة يقبر من أعلامنا الجبل
فيا خسارة سلك العلم قد فقدت ... من بين مرجانه الياقوت تختزل
مصيبة طبقت قطرا بأجمعه ... فبات منها على الأحزان يشتعل
رزء ألم فتم الصبر معه فلم ... ينفع عويل ولا دمع ولا عذل
لم يبق برد ولا رهط ولا نفر ... إلا بكوه فدمع المزن ينهمل
يا سوس ما أفظع الخطب الأليم وما ... أقساه مولاك في ذا العصر مرتحل
من للجماعة ،من للفرد، من لي بما ... يثيره الدهر واستعصت له الحيل؟
من (للسواسة) في الأبواب يغلقها ... من دونهم حسدا عون ومشتغل؟
من للأدب اليتيم بعد يكفله ... هذا أبوه الحنون عنه منفصل؟
من للقوافي وللتاريخ يجمعها ... بعد الفقيد فأن يلفى له بدل؟
من للنصيحة للإنسان يبذلها ... دنيا ودينا بلا خوف ولا خجل؟
من للتصوف بالقسطاس يفحصها ... يرعى لها العهد حين يعتدى الجدل؟
مكارم الخلق تنبي عن سريرته ... وفي التواضع لا شبه ولا مثل
إن قال قالت حذام وهو مقتنع ... بما يقول فلم ينفع به الجدل

فالصدق يعضد والإخلاص آزره ... والجد يدفعه والعزم والأمل
والحظ يسعد والإقبال حالفه ... حتى تبوأ نزلا دونه زحل
إيمانه بإلٰه الخلق ألبسه ... حلى السعادة حتى جاءه الأجل
مثاله الحزم طول العمر مجتهد ... بين الدفاتر لم يعرف له الملل
أحيى المعاهد للتعليم فانبعثت ... منها العلوم فزال الجهل والشلل
وهكذا شأن ذي نجر يكون له ... شبه بمن قبله أسلافه الدول
هم الأيمة في التقوى ولا عجبا ... أنْ ينبت الأصل فرعا وهو يعتدل
هذي مكارمك الغر الحسان فلا استقصاء فيها لأن القول مرتجل
بل نبذة من خصال كنت أعرفها ... عن روحك الشهم للأجيال تتصل
مني السلام على أرض تضمك يا ... ريحانة العلم في أكفانها العمل

قد خلس المنون أي علق

للأستاذ محمد بن علي بن عبد الله الإلغي

آخر يوم من جمادى الآخرة	في عام جفصش مضى للآخرة
العالم العلامة المختار	نجل على السوسي الزخار
ميلاده في حي شمس مبين	وذا لذات عمره الجبين
قضى الإمام العارف الطيار	مؤرخ المغرب من يشار
قضى الوزير الصالحي قلما	تلقى الوزير مثله في الحكما
مستوزرا للخامس المرحوم	حياته وليس بالملوم
وغبه، وصى عليه نجله	سيدنا الحسن أن يجله
فانفذ الوصاة منجزا كما	وصاه بل وازره فأكرما
جزاهما الرب الكريم فالجزا	منه إذا وعد خيرا أنجزا
مات بموت سيدي المختار	تاريخ أهل سوسنا المختار
فالأدب الغض نعى بنعيه	والكرم الجم سعى بسعيه
يا أسفا لنظمه الرصيف	وزفرة الإنشاء والتصنيف
كمثل المعسول ضخم القدر	جم المحاسن جليل القدر
ومثله في الحسن سوس العالمة	فإنها من كل نقص سالمة
جوف الفرى ومنية الإلغيات	فأعجب فكم بها من أعجب الآيات
مؤلفاته بنقط نون	وكلها كاللؤلؤ المكنون
سبحان من عظمه ووفقه	فليخش من إيذائه من سلقه
قد خلس المنون أي علق	فلو يفدى لفدي بالخلق
لكنه قد اصطفاه الله	من بين هذا الجنس فارتضاه

فمن لدين الله والوعظ الذي / يرشد كل جاهل فظ بذي
ومن لأهل العلم كلهم ومن / يحمي حماهم من أذى ومن درن
لابد أن يلقاهم إن أمكنا / أولا فيرسل السلام محسنا
قد بذل المجهود في رودانة / لبنىي معهد به مزدانة
من لليتامى والأرامل ومن / لكل منكوب وشد بقرن
وكم له في الاستعمار جم / من الهزاهز جناها غم
لما رواه مرشد الأمة / ومنهض الشعب لدفع الغمة
فكشروا الأنياب واكفهروا / وضيقوا عليه واسبطروا
فحبسوه ونفسوه ظلما / لكنه قد لقموه طرما
فحاز بعد اللتيا عقباه / مجدا صميما رغم من أباه
فالحمد لله الذي أشادا / دين الهدى وغيره أبادا
فمن لإحصاء النجوم والحصى / ومن بغى التعداد عقله وصى
يا عجبا لطالما حن إلى / مراكش ومن به من الملا
يذكرهم وقت الصباح والمساء / لا غيرهم أحسن هذا أم أساء
تراه في منفاه لا ينساهم / ففي فؤاد صدره مرساهم
فإنه أسهب في مدحهم / فلم يطاول سما صرحهم
وإنه أصدق في ودهم / من القطا وفي بقا عهدهم
حتى لقى في زورهم حمامة / رحماك رب إذ وفى ذمامه
رفقا بنيه أن يغيب جثمانه / فقد مضى من قبله أقرانه
لكن والله عمر ثان / يذكره بالحسن كل شأن
صبرا بنيه وبني أبيه / لفقد صنو أو أب نبيه
وعظم الله أجور الناس / في فقد من لست له بناس
فبختام عمره ختام / مؤرخ المغرب والسلام
وأسأل الله الكريم رحمه / وفي جنان الخلد فضلا نعمه
بجاه من أمر بالتأبين / وقال عني «يانناي» بيني
صلى عليه ما جلا صبح وما / غابت نجوم الجو في أفق السماء

فدتك نفوس لو تلبي نداءها

للسيد الراغبي محمد
المعهد الإسلامي بسيدي بيبي

سادتي، إخواني، زملائي، معشر الطلبة، حضرات المستمعين! السلام عليكم جميعا ورحمة الله يشرفني أن أقف أمام حضراتكم السامية لأعبر عن عواطفي نحو فقيدنا المرحوم السيد الحاج محمد المختار السوسي، سقى الله ضريحه من معين الجنان.

أيها السادة! إن اجتماع هؤلاء السادة في هذا الحفل السعيد لدليل قاطع على عظمة شأن فقيد الإسلام والمسلمين، وذلك لما يتمتع به من نفوذ روحي واستيلاء أدبي على قلوب المواطنين الذين أتوا ليشنفوا أسماعهم بما يتلى عليهم من قصائد وخطب تتضمن مآثر هذا الرجل العظيم السيد الحاج محمد المختار رحمه الله.

ولهذا ساهمت بما سمحت به القريحة وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان، معتذرا لسادتي لأن المقام مقام هول وجزع، لا مقام مرح ومرتع، فأقول :

أفي مثل هذا الخطب وهو مؤبد ... تغيض دموع العين والعين تشهد
أفي كل يوم يقطف الموت زهرة ... من أزهار هذا الروض وهو منضد
أفي كل ليل يحجب الدهر نجمة ... بها كان في الدنيا ضياء مسدد
يصاغ الرثاء في الذي هان أمره ... وماذا يصاغ في الذي هو فرقد
يجيش جناني بالقوافي، فعندما ... سمعت بفقد ذا العظيم تمرد
فحاولت إخفاء البكاء تجلدا ... ولكن أين مني ذاك التجلد
عصتني بناني لا أطيق كتابة ... وطاح لساني لا يطيق فينشد

وضاق بي الدنيا فلم أستطع لها ... دواء سوى صبر عراه التردد
فقمت إلى رسم الرثاء بدعوة ... وما قلمي يجري كما فيه أعهد
ومن جملة المرسوم أن صغت جملة ... أسائل هل بدر يموت ويلحد
وهل مل ذاك الأوج حيث يضيئنا ... وهل مل فضل المجد حين يمجد
فإلغ وسوس والرباط محدة ... لفقدان ذاك المختار حين تفقد
بكته وعمتها البلايا بموته ... فأين الذي تبكي ؟ وأين المعاود
تسلوا بني إلغ وسوس ومغرب ... فتلك طريق سار فيها محمد
لئن كان مثر بالملايين يغتني ... فمختارنا بالفضل والعلم يسعد
فإن كان في المجد المؤثل في الدنى ... فقد حل مغنى لم يطأه مسود
فكم بث علما يقتنيه وماله ... سواه حبيب يصطفيه ومحتد
له موطن في القلب مازال شاغرا ... فمن ـ يا ترى ـ يرضى بديلا ويقصد
تركت عيونا لا تمل جفونها ... دموعا، وسادها سهاد مجدد
فدتك نفوس لو تلبي نداءها ... لنادت، ولكن طال ذاك التمدد
جرحت قلوبا بالفراق فطالما ... تألم قلب بالنوى حين يبعد
خيالك بين الصحب مازال ثاويا ... كما كان ذاك الجسم يغدو ويرشد
تركت جميل الذكر في كل مجلس ... وصيتا له في الناس حب وسؤدد
تركت رجالا كم تفيض قلوبهم ... حماسا إلى العلياء والفعل يشهد
وكنت لهم أبا حنونا ومرشدا ... نصوحا، وكم منهم تربي وتنجد
رسمت لهم تلك المعالي فإن تمت ... فتلك المعالي لا تموت وتلحد
ومن ترك الأخلاق حي ولو غدا ... رميما له في اللحد ترب ممهد
ولست بِعَدَّادٍ مآثرك التي ... تضاهي عباب البحر حين تعدد
ولكن عواطفي أماطت حجابها ... لتعلن أن الخطب خطب مهدد
عليك سلام طيب متأرج ... مقيم على الحد حواك وينشد
أفي مثل هذا الميت تغنى القصائد ... .ويغمض جفن العين والعين تشهد

أحيا البلاد بعلمه

للسيد إبراهيم بن عبد العزيز الأدوزي

أمن المنون وريبه تتوجع ... والموت فروة كل حي يقرع
كيف النجاة من الهلاك ووقعه ... والموت وطأته التي لا تدفع
«وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع»
أين الذين تسارعوا لحياضه ... وتبادروا ولكل شيء ودعوا
ما منهم إلا أجاب نداءه ... لما دعي، ولكل جنب مصرع
تركوا المنازه والتخوت ووزعوا ... لما دعوا والموت شيء أفظع
أين الذين بنوا وشادوا ما بنوا ... وتحصنوا من وقعه وتمنعوا
أين القوى وأين من يتضعضع ... أين الفصيح وأين من يتتعتع
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا ... فيها سدى من غير شيء ينفع
والمرء من ترك الثناء بعيد ما ... صار الرميم ومدحه متشعشع
إن الرزية لا رزية مثلها ... فقد آن كل أخ كنجم يلمع
مثل الفقيد فقيدنا المختار من ... حاز الفخار وسؤدد الا يدفع
أحيا البلاد بعلمه وبوعظه ... ما مثله من عالم إذ يصدع
زان العلوم بحلمه ووقاره ... وحيائه وبكل شيء ينصع
«معسول»ـه أحيا القبائل كلها ... هذي البلاد بعلمه تتمتع
أودى به الدهر المشت مغادرا ... كل العيون دموعها لا تقلع
أودى به الدهر المشت مغادرا ... كل العلوم عليه سنا تقرع
فالله يرحمنا ويغفر ذنبنا ... وذنوبه فالخير هذا أجمع

رزء يعمُّ جوانبا وجوانحا

للسيد أحمد بن الحسين الكودي البعمراني

لله ما ضم الفؤاد من الأسى ... وجرى على كبدي من الأشجان
جرت الدموع بمقلتي فتقرحت ... أجفانها حزناً كما الثكلان
كيف السلو لفقد حبر ياله ... من لوذع يبدي بديع معان
المرتضى المختار سر هداية ... وولاية وعناية ربان
رزء يعم جوانبا وجوانحا ... للغرب والأقطار والأوطان
اختار مختارا لكل فضيلة ... مولى الخليقة ما له من ثان
فتفجرت منه ينابع حكمة ... جلت عن الإحصاء بكل بنان
جددت آثار المفاخر والعلا ... وجبرت كسرا منه بالتبيان
ولك اليد الطولى بكل جليلة ... ومهابة تعلو على الأقران
لا سيما سوسا رددت إليه ما ... ينسى من الذكرى بكل مكان
تبكي عليك ربوعه وسهوله ... وجباله أسفا لذا الصمدان
وسقت هواطل رأفة رمسا حوى ... جسما أثيب بالروح والريحان

فكلّ جليس يرتوي من علومه

للسيد الحاج الطيب بن احمد الزدوتي
أولوز

سلام على تلك المعاهد حيث ما ... خلت من حبيب واضمحلت معالمه
قضى نحبه وارتاح من نصب يغشا ... إذا لم تزل تدنو إليه محافله
يلم به كل من الناس تحتوي ... أديبا وغدا حيث حل مجالسه
فقال بالأنعام والحلم والرضى ... جفا جاهل تحنى إليه جماجمه
ويصلح ذات البين جهدا وفتنة ... تشب لظاها تعتريها زواجره
ومن شأنه جهل وظلم وغلظة ... وقسوة قلب تجتليها مواعظه
مناقبه جمت ومن يبغ نشرها ... محالا يرم إذ لم تطعه قرائحه
فكل جليس يرتوي من علومه ... وتشفى غليل الجهل منه موارده
على كل من يدنو إليه كرامة ... له وتزيح الفقر عنه مواهبه
وفي كل جو يبتغيه تنفس ... له والورى طرا حوته فضائله
شفاء لذين القلب كاظم غيظه ... وعاف وللعباد لانت جوانبه
وخفض جناح للوفود سجية ... له ولكل من أتاه فواضله
لوافده أن دان منه بشاشة ... وتدنى إليه كل صعب فوائده
فمن بعده يصبو إلى الدنيا لم يتل ... زمانا بها تصفو لذين مشاربه
تغمده المولى برحمته ومن ... يمن عليه لم تنله مصائبه
صلاة على المختار من نجل هاشم ... وآل له غر كذاك صحابته

....

ليبكك نشر العلم

السيد الحسن السملالي
قاض بالمحكمة الشرعية ببويكرا

أخلَّاي هذا الدهر شيمته الغدر ... قعيد كم؟ أفزعوا إلى من له الأمر
تَسلّوا فديتُكم وإن جل رزؤكم ... فإن عم هذا الخطب واندفع الذعر
ولا تخروا زؤدا ورعبا فإنه ... مركبكم يعزى له الحلم والحجر
فقد فجع الذي دهى بمصابكم ... ولكن صبرا أيها الملأ الغر
ومثلكم يعشى إلى حصن حلمه ... إذا اشتدت البأساء وانهمل الضر
تأسوا على الأسى بمن قبل قد مضى ... فهم إسوة ان مس جانبكم ضر
تعزوا وان عز العزاء فتحملوا ... فصبر جميل من أولاء لهم قدر
رسوخ الرواسي والتجلد منكم ... جعلنا فلا مناص إذ ينتهي العمر
بشارته للصابرين أتى بها الكتاب فها ذخرا فما فوقه ذخر
ألا أيها المختار في قبضة القسر ... فلم تتكسر في ابن عم لك الظفر
ليبكك نشر العلم في الأرخة التي ... رفعت بها منار سوس لك الفخر
لقد جل هذا الرزء بأسا ووقعة ... يهونه امتثالنا : إنما الصبر
وذاك قضاء الله في الكل انه ... على من عليها دار ذا الحدث النكر
وخففه انا ليسنا علومه ... فلم ينقط له لحسن الثنا ذكر
كما ان من افنى ثلاث عمائم ... وخلف أمجادا فما حقه القبر
ويقنا بأن من بقى سوف يغتدي ... على إثر هب انه نفس العصر
أيا مصدعا لبى دعاء الكريم قد ... دعيت إلى اللقاء، فما عنده خير
رثينا الكريم ابن الكرام نزيل من ... له البدء والختام والخلق والأمر

نفسي فداؤك يا وزير التاج

للسيد العبداوي عبد الرحمن رزوق
مكتب الدائرة بإنزكان

نعى إلينا العلامة المؤرخ مفخرة سوس، الشيخ سيدي محمد المختار السوسي الوزير المستشار في مجلس التاج، زوال يومه الأحد 29 جمادى الثانية عام 1383 موافق 17 نونبر 1963، والشعب في نشوة الأفراح بالأعياد الوطنية، فكان لنعيه صدى حزن في جميع الأوساط لما كان يتحلى به رحمه الله من الإرشاد وخدمة العلم من تاريخ وأدب، وتجديد مآثر والده في الطريقة الدرقاوية وخدمة العرش العلوي المجيد بإخلاص.

فلم يسعني إلا أن أعبر عن شعوري الخاص نحو الفقيد رحمه الله، فقلت في حينه :

نفسي فداؤك يا وزير التاج	فلكم خلفت لنا ورا من حاج
الله أكبر فاضت نفس محمد	نفسي فداؤك يا وزير التاج
الله أكبر فاضت نفس محمد المختار	في وقت له في احتياج
فليبكه اليوم الجنوب وأهلـه	وشمالنا والكل فيـه مفاجـى
وليبكه التاريخ قد جددت له	أقلامه إثر الخلـود العاجـي
تبكيه «سوس» ملء دمع جفونها	يعزيها «معسولـ»ـه بقول الراجي
أما «خلال جزولة» فقد استوفى	وأتى بما يغني عن الأحاجي
في ذمة التاريخ نفس عزيزة	راحت وأضحى لها الفؤاد يناجي



تشكرات الأسرة

لابن أخ الفقيد وتلميذه
السيد لسان الدين عبد السلام
المعهد الإسلامي بتارودانت

أيها السادة، يسعدني أن أعبر لكم، باسمي واسم أسرة الفقيد، عن تشكراتنا على ما تفضلتم به من إقامة هذه الذكرى على روح فقيد الجميع المغفور له سيدي محمد المختار السوسي، وعلى ما أبديتموه فيها من عواطف طيبة، وشعور نبيل، وأخوة متفانية، سواء بقصائدكم الطنانة، أو مقالاتكم البليغة. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على الروابط المتينة والأواصر القوية التي كان الفقيد ــ رضوان الله عليه ــ يحثنا عليها دائما، هذه الروابط التي تعتمد على الخلق الحسن، والدين المتين، والصفاء الكامل، والأخوة الصادقة والمحبة المتناهية. ولعمري إنها لهي أسس الرابطة الإسلامية التي تربط المسلمين بعضهم ببعض أينما كانوا في بقاع العالم.

إن الفقيد ــ رحمة الله عليه ــ اختار ميدان التربية والتوجيه الإسلاميين على سائر الميادين الأخرى، إيمانا منه بأن الأمة الإسلامية في ظروفها الحالية أحوج ما تكون إلى مربين وموجهين عمليين، يستطيعون أن ينقذوا الإسلام والمسلمين من المهاوي التي سقطوا ــ ولا يزالون يسقطون ــ فيها.

لنستمع إليه حيث يقول : «... ففي هذا الميدان ــ ميدان التربية والتعليم الإسلاميين ــ أستطيع أن أؤدي واجبي الديني والوطني»، ويقول أيضا : «...فأعددت نفسي فداء لديني ووطني وأمتي التي هي أمة العرب والإسلام جمعاء».

أيها السادة ! إنني أشكر جميع السادة الذين شاركوا في هذه الذكرى التي عبرتم فيها عن أحاسيسكم الطيبة وعواطفكم الفياضة التي تبرهن على وفائكم لفقيدكم. حفظكم الله وأبقاكم لخدمة الصالح العام. كما أتوجه إلى الله تعالى أن يحفظ أمير المومنين مولانا الحسن الثاني على ما يوليه من عنايته الفائقة لأسرة الفقيد.

اللهم تغمد فقيدنا بالمغفرة والرضوان وألهمنا الصبر وأعنَّا على الإقتداء بسيرته.

وشكرا لكم أيها السادة الأجلاء ثم شكرا، والسلام عليكم ورحمة الله.

اعتذارات

اعتذارات

حرصت اللجنة المكلفة على إحياء ذكرى فقيد العروبة والإسلام، السيد محمد المختار السوسي، على أن تتيح الفرصة لأكبر عدد من علماء سوس وتلاميذ الفقيد، ووجهت رسائل الدعوة لعدد كبير منهم. فلم يكادوا يتوصلون بالرسائل حتى هبوا مسرعين للإجابة عنها بما يكنونه للفقيد، فوعد أغلبهم بالحضور، وتأسف البعض للعوائق التي تحول بينه وبين حضوره الشخصي في إحياء الذكرى، ويعبرون في نفس الوقت عن حضورهم القلبي.

وتخليدا لمشاركة هؤلاء السادة وتقديرا لاعتنائهم الكبير، نورد فقرات من رسائلهم :

1) شقيق المرحوم السيد رضا الله إبراهيم الإلغي ـ المجلس الأعلى الرباط :



سادتي العلماء الفضلاء، علماء الحضرة السوسية، أعضاء جمعية علماء سوس النشيطة الوفية لمبادئها وأهدافها السامية، السلام عليكم ورحمة الله جميعا.

وافتني دعوتكم الكريمة إلى الحضور، وإلى الإسهام في حفلة التأبين التي ستقيمونها ترحما على روح فقيدنا وفقيدكم وفقيد الأمة جمعاء، أخينا وأخيكم، فضيلة الأستاذ الأكبر، الشيخ رضا الله محمد المختار السوسي ـ بوأه الله في أعلى عليين، وأحله دار النعيم المقيم ـ فرحبت بالدعوة، وحلت مني بالسويداء، وأحسست معها ببرد وسلام في قلبي، إذ أن علماء سوس المتمثلين في جمعيتهم المباركة، وفي معهد تارودانت الأبرك، حريصون كل الحرص على أن يوفوا للفقيد حقه حيا وأحرى ميتا، إذ هو والحق يقال كان مثال الوفاء والإيثار، وأغير الناس على ذويه، ولم يكن يرى أهله في خصوص بني أبيه، ولا ذويه في خصوص عمومته وخؤولته، بل ان عائلته لتشمل الإقليم كله، إن لم أقل الأقاليم كلها، فكان لا يفرق بين هذا وذاك، ولا بين قبيل وقبيل. وأذكر أن بعض أصدقائنا الرباطيين أراد ممازحته يوما وأنا جالس فسأله : لماذا يعرف أخوك هذا بالإلغي وأنت تعرف بالسوسي ؟ فأجابه رحمه الله بروحه الفكهة : إن أخي إلغي فحسب، ليس له إلا إلغه إن رضى به ورضيت به، وأما أنا فسوسي لي الإقليم كله ولله الحمد، وما إخالهم إلا راضين بي كما أنا راض بهم، فكان جوابا مسكتا مفحما صادقا كل الصدق، إذ لا يعرف الناس في البلاد السوسية ولا خارج البلاد السوسية رجلا خدم بلده، وإقليمه في هذا العصر مثل الفقيد، الذي كان داعية لسوس، ومنافحا عن سوس ومعرفا بسوس، ومكونا لسوس، وباحثا عن أمجاد سوس، وناصبا من نفسه وسيرته ومتانة دينه، وعلو همته، خير أمثولة وأحسن أحدوثة عن سوس.

فلهذا كان علماء سوس أول من يعرف للفقيد فضله، ويعظم قدره، ويخلد ذكراه، فشكرا لكم باسمي الخاص وباسم العائلة جمعاء.

هذا وإني لمعتذر عن الحضور، بما أنا مطوق به من تحضير جلسات المجلس الأعلى.

والسلام على جمع العلماء الأغر، والسلام على الفقيد ورحمة من الله ورضوان.

الرباط في 30 شوال 1383، شقيق المرحوم رضا الله إبراهيم

2) الشاعر العبقري السيد الحسن البونعماني ـ القصر الملكي، الرباط :



وبعد، فلقد تشرفت باستدعائكم للحضور في حفل ذكرى الترحم على روح فقيد العروبة والإسلام الأستاذ الكبير سيدي المختار السوسي، وإني لأشكركم على حسن اعتنائكم، حيث رأيتم من حسن ظنكم أنني من الذين ينبغي أن يكونوا في قائمة المستدعين، وإني على نية أن أشارك، اللهم إلا إذا حالت الأسباب القاهرة فالأمر لله[1].

وفي الختام أبلغ تحياتي وتقديري لكافة هيئة الجمعية الموقرة راجيا لمشروعكم النبيل أن يجد من أرباب الثقافة ومن ذوي الأدب والمعرفة أقلاما مرهفة. وإلى اللقاء بحول الله والسلام.

الرباط في 28 شوال 1383 ـ أخوكم الحسن البونعماني

(1) اتصل باللجنة صبيحة يوم الذكرى فأبلغهم اعتذاره عن عدم حضوره.

3) **السيد أحمد العدوي، مدير المعهد الإسلامي بالجديدة :**

وبعد، لي الشرف أن ألتمس منكم العذر عن عدم تمكني من الحضور في ذكرى الترحم على شيخنا فقيد المغرب والعالم الإسلامي السيد محمد المختار السوسي يوم الخميس 4 ذي القعدة 1383.

وقد حال دون حضور اتفاق هذا اليوم مع اجتماع وزاري إقليمي لا مناص لي من الحضور فيه. وتقبلوا احترامنا والسلام.

الجديدة في 22 شوال 1383 ـ أحمد بن عبد الله العدوي

4) **السيد محمد الإفراني ـ الأخصاص :**



وبعد، فأيد الله علماء سوس ووفقهم وأعانهم على الإرشاد، وسلامه الأتم عليهم.

ثم إن مرقومكم الشافي توصلت به، وإذ شرحت برغبتكم في الانضمام إلى الذين رشحوا أنفسهم لتأبين المغفور له المرحوم والد السوسيين السيد محمد المختار السوسي رحمه الله تعالى، وأدى عنا حقوقه، لكن منعني من ذلك ما لا يخفى عليكم من عوائق الدهر، فاعذروني يا سادتي في تخلف الجسد، واصفحوا عني فيما صدر مني من خلاف الصواب، واعلموا أنا معكم وإن كنا في بعيد. والسلام.

الأخصاص في 24 شوال 1383 ـ محمد بن أحمد بن عثمان الأفراني

5) **السيد توفيق العياشي ـ المحكمة الإقليمية ـ مراكش :**

وبعد، فقد توصلت بكتابكم المتضمن إشعاركم بأنكم ستقيمون ذكرى ترحم للفقيد الأستاذ الجليل السيد محمد المختار السوسي، قدس الله روحه.

وأحيط جنابكم علما أن عزاءنا فيه واحد، غير أني أعتذر لجنابكم عن عدم الحضور لمرضي، وعسى أن يكون عذري هذا مقبولا لديكم والسلام.

مراكش في 25 شوال 1383، توفيق العياشي بإقليمية مراكش

6) **السيد مصطفى ماء العينين، رئيس ملحقة بويزاكارن :**

وبعد، فقد توصلت برسالتكم التي تذكرون فيها بأن جمعية علماء سوس ستقيم ذكرى الترحم على روح العلامة الجليل المغفور له سيدي محمد المختار السوسي، قدس الله روحه. وجعل في أعلى عليين مثواه.

وهذا وبما أن الحياة لا تخلو في بعض الأحيان من ظروف وعوائق، يستحيل معها الحضور لإحياء الذكريات التي تستحق كل إجلال، فإني أعتذر لكم مع أسفي العظيم، لأن بعض الشؤون الإدارية المهمة حالت بيني وبين الحضور، ولهذا أرجوكم أن تبلغوا تحياتي الحارة للعلماء راجين من الله أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة والسلام.

بويزكارن 26 شوال 1383، مصطفى ماء العينين

7) **السيد محمد صبار ـ محكمة الاستيناف ـ الرباط :**



وبعد، فقد توصلت برسالتكم قبل يوم تاريخه للحضور في اجتماع الترحم على روح فقيد العلم والأدب الأستاذ العلامة الشيخ محمد المختار السوسي، وتأسفت جدا

حيث لم يتأت لي الحضور ومشاركتكم في هذا الحفل، لأنني لم أتخذ الحيطة على سعة من الوقت، للأشغال المطوق بها في المحكمة، ونرجو منكم أن تقبلوا معذرتي.

الرباط في 30 شوال 1383، صبار محمد الأخصاصي

8) السيد عبد الله الغشاني :

فبحمد الله يناجي الكتاب صفوة أهل الوداد ونخبة أولى الألباب علماء سوس الباذلين مهجهم في نشر الديانة وإحياء النفوس، نضر الله تلك الهالات، وحمى تلك الأقمار والشموس، وعلى ذلك المقام ومن به أقام من حضرة القدوس السلام، عواطف الرضى وروادف السلام.

وبعد؛ فينهي الفقير إلى مواليه وسادته أنه ممن يعد موالاتهم من سعادته، لولا حاكم الهرم وقضاؤه المبرم، فقد أغار على القوى فأمسك وأوثق، ونهنه الفكر فقيد وما أطلق، وإنما أبدى في تخلفه عذره لتقبلوا له تلك العثرة، وتمسحوا عن مصون عرضه تلك الغبرة، والسلام على سيادتكم عودا على بدء.

اغشان في 25 شوال 1383، عبد الله بن محمد الغشاني

9) السيد أرفاك إبراهيم ـ المحكمة الشرعية ـ بويزاكارن :

وبعد، فأحيطكم علما أن رسالتكم وصلتني للحضور في ذكرى فقيد العروبة والإسلام، الفقيه العلامة المغفور له سيدي محمد المختار السوسي، ولكن لأسباب قاهرة تتلخص في أنني سبق لي أن استدعيت إلى جلستين يوم الخميس الموافق ليوم الذكرى فاعذروني. والسلام..

بويزاكارن في 4 قعدة 1383، أرفاك ابراهيم

10) السيد أحمد بن محمد البونعماني ـ مدرسة بونعمان :

وبعد، فقد توصلت برسالة منسوبة إلى الجماعة مضمنها الترحم على شيخنا الأستاذ السيد محمد المختار السوسي، وإنها لحادثة عظيمة نشأت عنها أحزان جرحت قلوبنا من جراء ذلك الخطب الجسيم الذي هز أركان صقع سوسنا، بوفاة شيخنا

المغفور له. فلقد أفلت شمس المعارف وانقطع ينبوع العلم، وإن صقعنا السوسي ليتيم.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدم

فسلامي على عامة العلماء، والسلام.

بونعمان 25 شوال 1383 ـ أحمد البونعماني

11) السيد الحسن بن أحمد الأدوزي، إفران :

وبعد، فقد توصلت برسالتكم التي فيها ان علماء سوس سيقيمون ذكرى ترحم على فقيد العلم والأدب السيد الحاج محمد المختار السوسي رحمه الله. شكر الله سعي سادتنا العلماء لقيامهم بهذه المهمة العظيمة. غير أني بكامل الأسف العميق صادفني ذلك في حال تأهب للذهاب إلى مراكش صحبة الوالد ليجري فحصا طبيا لعينيه، وهو يسلم عليكم بدوره راجيا منكم الدعاء له بالشفاء العاجل والسلام.

إفران في 27 شوال 1383 ـ العربي ، لحسن بن أحمد

> **ملاحظة** : أنجز هذا الكتاب في الأصل على الآلة الكاتبة بمعهد محمد الخامس بتارودانت بتاريخ 8 ذي الحجة الحرام 1383 ـ موافق 21 أبريل 1964.

فهرس المحتويات

II ـ اعتذارات

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء